

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ، فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

أما بعد فإن محبة الله تعالى أسمى أمنية وأعظم فوز لكل مخلوق، وكما قيل: ليس الشأن أن تُحِبَّ بل أن تُحَبَّ، فإن محبة العبد لله تعالى دعوى يدعيها كل إنسان، ولا تقبل دعوى بغير دليل، وأما محبة الله تعالى للعبد فهي التي تهفوا إليها النفوس، وتتطلع إليها القلوب، وتسابق في سبيل تحقيقها المتسابقون، فمنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ومنهم مقتصد، ومنهم منقطع، نسأل الله العافية والسلامة، والتوفيق والعون والسداد، ومما يحدوا بالعباد في مضمار سباقهم للفوز بمحبة الله تعالى معرفة أسباب محبته تعالى للعباد، وما يعين على تحقيق كل سبب منها، مع ضرب الأمثلة عليها من سيرة الرعيل الأول من هذه الأمة، لشحذ الهمم للحاق بهم، والتأسي بهم في فعلهم، والسير على دريهم، وسلوك سبيلهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ***** إن التشبه بالكرام فلاح

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٠٢

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآية/ ١

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآية/ ٧٠، ٧١

وقد جمعت في هذا البحث سبع عشرة خصلة من الخصال التي تكون سبباً في محبة الله تعالى للمؤمن استقرأتها من نصوص الكتاب والسنة، وقد راعيت في الأحاديث التي أوردتها الصحة لعلمي أن في الصحيح غنية عما لم يصح، وحرصت أن تكون النصوص محل الاستدلال صريحة بلفظ المحبة، واجتهدت في استيفاء الكلام عن كل خصلة منها، بما يُرغَّب في الاتصاف بها، والسعي في تكميلها، وقد عزوت النصوص محل الاستدلال، والاستشهاد إلى مصادرها؛ ليسهل الرجوع إليها، وعزو الأقوال إلى أصحابها، مع بيان مصادرها كذلك.

وبعد فهذا جهدي مع إقراري بعجزتي وتقصيري، فإن أصبت فمن الله وحده، وله الحمد والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان.

والله الكريم أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لي زاداً ليوم المعاد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سعيد بن مصطفى محمد دياب

١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ

الموافق: ٣٠ / ١٢ / ٢٠٢٣ م

إثبات صفة المحبة لله تعالى

أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز أن من صفاته العلى صفة المحبة، وذهب السلف رضوان الله عليهم في صفات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنة المشرفة، إلى إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تكيف ولا تأويل ولا تعطيل؛ قال نعيم ابن حماد شيخ البخاري عليهما رحمة الله: (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا).

ومما وصف الله تعالى به نفسه أنه تعالى يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى، وهذه الصفة شأنها شأن سائر الصفات ثبتها على الوجه الذي يليق بالله تعالى فإنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو تعالى ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك.

ومحبة الله عز وجل صفة له قائمة به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة. وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنها توهم نقصاً؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأما الأشاعرة؛ فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلا أنهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناءً على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وليس من هدي السلف تأويل صفات الله تعالى كما فعلت الأشاعرة، ولا تعطيلها كما فعلت المعتزلة والجهمية، ولا تكيفها كما فعل أتباع هشام بن الحكم الجواليقي، بل أهل السنة وسطاً

بين تلك الفرق كلها، فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليقُ به، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهاً.

كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته.

ولا يغرنك زعمهم أنهم أرادوا تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والفرار من التجسيم والتشبيه، فكم من مريد للخير لا يدركه، والسلامة في اتباع سلف هذه الأمة الذين زكاهم الله تعالى، وهم الذين عاصروا التنزيل، ونزل القرآن بلسانهم، وهم أعلم الناس بتأويله، وأعرفهم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وهم أسلم الناس اعتقادًا فقد زكي الله تعالى معتقدتهم؛ قال تعالى مخاطبًا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، ومن الخطأ العظيم، ومن سوء الأدب قول القائل: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، فهم بعد المرسلين أعلم الخلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، رد على المشبهة. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، رد على المعطلة، فمحبة الله تعالى محبة حقيقية تليق بذاته تعالى لا كما يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة الذين ينفون حقيقة المحبة، والأشاعرة الذين يؤولون صفة المحبة ويقولون: الله لا يُحِب، ولا تليق به صفة المحبة، ويجرفون ما جاء في النصوص، ويفسرونها: تارة بالإرادة، وتارة بالشوا، أو إرادة الثواب، فينفون عن الله حقيقة المحبة، ويقولون في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: يشيهم على ذلك، وقالوا مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وهذا مبني على أصولهم الفاسدة أن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه، فيقعون في التناقض، ويفرون من شيء؛ فيقعون في نظيره، أو في شر منه.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات صفة المحبة، ما رواه مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِيَّيْ أَحِبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحَبُّهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِيَّيْ

أُبْغِضُ فُلَانًا فَأُبْغِضُهُ قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأُبْغِضُوهُ قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^١.

فهل يقال في مثل هذا الحديث: إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى هي إرادة الثواب؟ ويأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يريد الثواب لهذا العبد؟ وهل يأمر جبريل أهل السماء أن يريدوا الثواب لهذا العبد؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، معناه إرادة الثواب؟

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث من العلم والفقه: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ في السماء ليس في الأرض، وَأَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْرَبُ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ وَأَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ.

وفيه: أَنَّ الْوُدَّ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يَتَنَدَّبُهَا وَيَسْطُهَا، وَالْقُرْآنُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قَالَ الْمَفْسِّرُونَ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ إِلَى النَّاسِ^٢.

وقال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه: أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَعْلَمَ كُلَّ مَرْضِيٍّ عَنْهُ عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ بِحُبِّهِ إِيَّاهُ؛ لئلا يتعرضَ واحدٌ منهم ببغض من يحبه الله، فيبدأ جل جلاله بإعلام جبريل ليكون جبريل موافقاً فيه محبة الله عز وجل، ولْيَعْلَمَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِيَكُونُوا عَابِدِينَ لِلَّهِ بِمَحَبَّةِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ مُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ بِحُبِّهِ^٣.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٣٢٠٩، ومسلم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ،

بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ لِعِبَادِهِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٦٣٧

٢ - التمهيد لابن عبد البر ت: بشار (١٣ / ٤٥٩)

٣ - الإفصاح عن معاني الصحاح (٧ / ٢٦١)

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخَاهُ لَهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا مَرَّ بِهِ قَالَ أَتَيْتُ تَرْيِدًا قَالَ أُرِيدُ فُلَانًا. قَالَ لِقَرَابَةٍ قَالَ لَا. قَالَ فَلِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَرْبُّهَا قَالَ لَا. قَالَ فَلِمَ تَأْتِيهِ قَالَ إِنِّي أَحْبَبُهُ فِي اللَّهِ. قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ فِيهِ».^٢

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَثَلَاثَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَمَنَعُوهُ، فَتَحَلَّفَهُ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي، وَيَتَلَوُّ آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزِمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ: الَّذِينَ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الشَّيْخُ الرَّازِيُّ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلْمُ».^٣

١ - سورة المائدة: الآية / ٥٤

٢ - رواه مسلم - كتاب البرِّ والصَّلةِ والآداب، باب في فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذي - أبواب صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٥٦٨، والنسائي - كِتَابُ الرِّكَاعِ، ثَوَابُ مَنْ يُعْطِي، حديث رقم: ٢٥٧٠، والحاكم - كِتَابُ الرِّكَاعِ، حديث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني أَلْفَاظُ الْوَعْدِ الَّتِي مَرَادُهَا الْأَوَامِرُ بِاسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ، ذَكَرَ الْبَيَّانُ بِأَنَّ النَّبَاتَ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْسَلِيمِينَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ، حديث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - كِتَابُ الرِّكَاعِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، باب ذَكَرَ حُبَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُحْفِي بِالصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٢٤٥٦، بسند صحيح

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^١.

ثمرةُ محبةِ الله تعالى للعبد:

١- حُبُّ الله تعالى للعبد:

من ثمار محبة الله تعالى للعبد، ومن آثار تلك المحبة أن يحب ذلك العبد كل شيء فتحبه الملائكة، ويحبه أهل الأرض، ولم لا؟ وهو حبيب الرحمن تبارك وتعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوه، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^٢.

٢- أن يحالفه التوفيق أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته:

ومن آثار تلك المحبة أن يوفقه الله تعالى في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، فهو يسمع بتوفيق الله تعالى، ويصير بتوفيق الله تعالى، ويتحرك بتوفيق الله تعالى، فأني لمثل هذا أن يتطرق إليه الخذلان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٣١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٣٢٠٩، ومسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّالَةِ وَالْأَذَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ لِعِبَادِهِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٦٣٧

الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^١.

قال عبيد الله بن الحسن، قاضي البصرة: كانت عندي جارية عجمية وضيئة، وكنت بها معجباً، وكانت ذات ليلة نائمةً إلى جنبي، فانتبهت فلم أجدها، فالتمستها فلم أجدها وقلت: شراً.

فلما وجدتها، وجدتها ساجدةً وهي تقول: بحبك لي اغفر لي.

قلت لها: لا تقولي هكذا. قولي: بحبي لك اغفر لي.

فقلت: يا بطل، حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وأنام عينك.

قلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

قالت: يا مولاي: أسأت إلي، كان لي أجران صار لي أجر واحد.^٢

ورأى رجلٌ امرأةً في المطاف وجهها كالقمر متعلقةً بأستار الكعبة تبكي وتقول: بحبك لي إلا ما غفرت لي.

فقال: يا هذه أما يكفيك أن تقولي بحبي لك فما هذه الجرأة؟

١ - رواه البخاري - كتاب الرِّقَاقِ، بابُ التَّوَاضُّعِ، حديث رقم: ٦٥٠٢

٢ - تاريخ بغداد (٧ / ١٢)، إحياء علوم الدين (٤ / ٤١٤)، وقولها: كان لي أجران صار لي أجر واحد لما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ فَغَدَاها فَأَحْسَنَ غِدَاءَهَا، ثُمَّ أَذْبَحَهَا فَأَحْسَنَ أَذْبَحَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ».

فالتفتت إليه، وقالت له: يا بطلأ أما سمعت قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؟ فلولا سبق محبته لما أحبوه.

فخجل واستغفر.^١

الإحسانُ

من أسباب محبة الله تعالى للعباد الإحسانُ إلى الخلق، والإحسانُ مشتق من الحُسْن وهو ضد القبح، يقال: حَسَنَ يُحْسِنُ حُسْنًا، فَهُوَ حَاسِنٌ وَحَسَنٌ.^١

معنى الإحسان:

وَالْإِحْسَانُ فِعْلُ النَّافِعِ الْمَلَائِمِ، فَإِذَا فَعَلَ فِعْلًا نَافِعًا مُؤَلِّمًا لَا يَكُونُ مُحْسِنًا، فَلَا تَقُولُ إِذَا ضَرَبْتَ رَجُلًا تَأْدِيبًا: أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ. وَلَا إِذَا جَارَيْتَهُ فِي مِلْدَاتٍ مُضِرَّةٍ: أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ، وَكَذَا إِذَا فَعَلَ فِعْلًا مُضِرًّا مُلَائِمًا لَا يُسَمَّى مُحْسِنًا.^٢

قال الراغب: وَالْإِحْسَانُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: الإِنْعَامُ عَلَى الْغَيْرِ، يُقَالُ: أَحْسَنَ إِلَى فُلَانٍ.

والثاني: إِحْسَانٌ فِي فِعْلِهِ، وَذَلِكَ إِذَا عَلَّمَ عِلْمًا حَسَنًا، أَوْ عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: (النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ) أَي: مَنْسُوبُونَ إِلَى مَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾.^٣

وَالْإِحْسَانُ أَعْمٌ مِنَ الْإِنْعَامِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.^٤

١ - المحكم والمحيط الأعظم (١٩٧ / ٣)

٢ - التحرير والتنوير (٢١٦ / ٢)

٣ - سورة السجدة: الآية / ٧

٤ - سورة الإسراء: الآية / ٧

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^١.

فالإحسان فوق العدل، وذلك أنّ العدل هو أن يُعطي ما عليه، ويأخذ أقلّ مما له، والإحسان أن يُعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلّ مما له.

وَالْإِحْسَانُ زَائِدٌ عَلَى الْعَدْلِ، فَتَحَرَّى الْعَدْلَ وَاجِبٌ، وَتَحَرَّى الْإِحْسَانَ نَدْبٌ وَتَطَوُّعٌ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾^٣.

ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^٥.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^٦.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾^٧.

وقال ابن سيده: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قَالَ الرَّجَاجُ: الْمَعْنَى، أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَجَادِلْهُمْ غَيْرَ فِظٍ وَلَا غَلِيظَ الْقَلْبِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قِيلَ: أَرَادَ الْعَفْوَ وَالْقَصَاصَ، وَالْأَحْسَنَ: الْعَفْوُ. وَهِيَ الْحُسْنَى.

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٠

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٢٥

٣ - سورة البقرة الآية/ ١٧٨

٤ - سورة العنكبوت الآية/ ٦٩

٥ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٥

٦ - سورة التوبة: الآية/ ٩١

٧ - سورة النحل: الآية/ ٣٠، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٣٦)

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾. قيل: أراد الجنة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. عن الجنة، وعندي إنها المجازاة الحسنى، والزيادة النظرة إلى وجه الله. وقيل: الزيادة لتضعيف الحسنات.^١

الإحسان من أسباب محبة الله للعباد:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٤

وقال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٥

وقال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

١ - المحكم والمحيط الأعظم (١٩٧/٣)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٥

٣ - سورة ال عمران: الآية/ ١٣٤

٤ - سورة المائدة: الآية/ ١٣

٥ - سورة المائدة: الآية/ ٩٣

وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَفْءَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^١.

منزلة الإحسان:

الإحسانُ صَفْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ:

من منزلة الإحسان أن الإحسانَ صَفْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وأرفعُ رتبةً يمكن أن يبلغها العبد، وأعلى منزلة يمكن أن يحصلها إنسان؛ لذلك كان أعظم الناس إحساناً هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ وذلك لما يبذلونه للعباد من الخير، وما يتحملونه من الضَّرِّ والمشاق في سبيل هدايتهم، حتى يصل الأمر إلى القتل أحياناً وهم مصرون على هداية الخلق، والأخذ بحجزهم أن يردوا موارد الهلاك، وهل أدل على ذلك مما وقع لبنينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأذى المعنوي والحسي في رحلته إلى الطائف من السب والشتم والإهانة والتحقير، والقذف بالحجارة حتى أدموا عراقيبه، ثم هو يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»؛ عَبْدُ اللَّهِ «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^٢.

١ - سورة ال عمران: الآية/ ١٤٨

٢ - رواه البخاري- باب، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم: ٣٤٧٧

- الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنا حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»^١.

- الإحسان أعلى مراتب الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر». قال يا رسول الله ما الإسلام قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال يا رسول الله، ما الإحسان قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال يا رسول الله متى الساعة قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت المرأة رببتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾». ثم انصرف الرجل فقال: «رُدُّوا عَلَيَّ». فأخذوا ليردُّوا فلم يروا شيئاً. فقال: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»^٢.

١ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، حديث رقم: ٣٧٠٩

٢ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، حديث رقم: ٥٠، ومسلم -

كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، حديث رقم: ٣٥

الإحسانُ في العبادات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَلَا يَزُفُ وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمُرُ قَاتِلُهُ أَوْ شَاتِمُهُ فَلْيُثَلِّإِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَّامِ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»^١.

- الإحسانُ صِفَةُ الْأَخْلَاقِ وَارْفَعَهَا رتبة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^٢.
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ^٤.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَدَرْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَبَدَرَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تَصِلُ

١ - رواه البخاري- كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٠٤، ومسلم- كتاب الصيام، باب فضل الصيام،

حديث رقم: ٢٠١١

٢ - سورة المؤمنون: الآية/ ٩٦

٣ - سورة فصلت: الآية/ ٣٤

٤ - رواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٤٧٤٦

مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَدِّدَ فِي عُمْرِهِ وَيُبْسِطَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ ذَا رَحْمِهِ»^١.

وإنما كان هذا إحساناً لأن صاحبه لا يفعله على وجه المكافأة، ولا يفعله ابتداءً وإنما يقابل القطيعة بالوصل، ويقابل الحرمان بالعطاء، ويقابل الظلم بالعفو، ويقابل الجهل عليه بالحلم، ويقابل الإساءة بالإحسان، فلا أحسن منه حالاً، ولا أكرم منه نفساً، ومن تأمل في تلك الخصال يجد أنها وقعت للأنبياء والمرسلين عامة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووقعت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، ولولا أن الاستطراد بذكر ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث لذكرت عشرات الأمثلة على ذلك من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الإحسان إلى البنات سترٌ من النار:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ هَا، فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَفَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَنِي حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ.^٢

١ - رواه الحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٥٤، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، حديث رقم: ١٣٦٣، ومسلم -

كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، حديث رقم: ٤٨٧٠

- الإِحْسَانُ لِلْبَهَائِمِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَهُوَ يَحْدُ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضَجَّعَهَا»^١.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يَحْدُ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا، أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ»^٢.

فتأمل رحمك الله كيف يراعي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مشاعر تلك البهيمة العجماء، فينهاي الذي يريد ذبحها أن يحْد شفرته وهي تنظر إليه، أو يذبحها وبهيمة أخرى تنظر إليه! أدركت معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فإن لفظ العالمين عام يشمل كل شيء حتى البهائم العجماء.

- الإِحْسَانُ دَلِيلُ كَمَالِ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»^٣.

١ - رواه الحاكم - كتاب الأضاحي، حديث رقم: ٧٦٢٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمَمْ يُجَرِّجَاهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١١٧٠٦، والأوسط - حديث رقم: ٣٦٧٤، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث: ٧٢٣٨، وأبو داود - كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: ٤٠٨٣، والترمذي - أبواب الرضاع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم: ١١١٨، وابن حبان - كتاب الحج، باب الهدى، ذكر البيان بأن من خيار الناس من كان خيرا لامرأته، حديث رقم: ٤٢٣٧، بسند صحيح

- الإحسانُ لا يضيع أجره أبداً:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَتِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤.

- الإحسانُ صفةُ الصفوةِ من بني الإنسان:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٥.

١ - سورة هود: الآية / ١١٤، ١١٥

٢ - سورة يوسف: الآية / ٥٦

٣ - سورة يوسف: الآية / ٩٠

٤ - سورة التوبة: الآية / ١٢٠

٥ - سورة يوسف: الآية / ٢٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

– الإحسان ليس له جزاء دون الجنة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَنَّا جَاءَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤.

فمن وَحَدَّ الله تعالى، وأطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله تعالى بما شرع، وأحل الحلال وحرم الحرام، وخالَقَ الناس بخلق حسن فقد بلغ الغاية تحقيق الاستقامة، وهذا هو الإحسان، ومن كان كذلك فليس له عند الله تعالى جزاء دون الجنة.

١ - سورة يوسف: الآية / ٣٦

٢ - سورة يوسف: الآية / ٧٨

٣ - سورة الأنعام: الآية / ٨٤

٤ - سورة المائدة: الآية / ٨٥

قال ابن جرير: وإحسان المحسن في ذلك أن يوحد الله توحيدًا خالصًا محضًا لا شرك فيه، ويقر بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب، ويؤدي فرائضه، ويجتنب معاصيه، فذلك كمال إحسان المحسنين.^١

- الإحسان يجعل صاحبه في معية الله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٢

وضَعَ الظاهرَ موضعَ المضمرِ إظهارًا لشرف المحسنين، وأخبر تعالى أنه معهم بنصره ومعونته وتأنيده في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في الآخرة.

- الْمُحْسِنُ أَقْرَبُ النَّاسِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٣

قال سعيد بن جبير: الرحمة هنا الثواب. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قريبة؛ لأنه ضَمَّنَ الرحمة معنى الثواب؛ أي: إِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا والذي هو سببُ حصول الرحمة قَرِيبٌ مِنْهُمْ.

قال الخطيب الشربيني: وكون الرحمة قريبًا من المحسنين؛ لأنَّ الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك كان الموت أقرب إليه من الحياة، وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب من الإنسان.^٤

١ - تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر (٦٠٦ / ٨)

٢ - سورة العنكبوت: الآية / ٦٩

٣ - سورة الأعراف: الآية / ٥٦

٤ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١ / ٤٨٢)

– الإِحْسَانُ سببُ الزيادة من الله تعالى:

ولما كان الإِحْسَانُ من دلائل شكر نعم الله تعالى كان سببُ الزيادة من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

– الله عز وجل يتجاوز عن أهل الإِحْسَانِ لإِحْسَانِهِم:

ومن أثر الإِحْسَانِ على صاحبه أن الله عز وجل يتجاوز عن أهل الإِحْسَانِ ما لا يتجاوز لغيرهم لإِحْسَانِهِم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا. قَالَ فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»^٤.

١ – سورة البقرة: الآية/ ٥٨

٢ – سورة الأعراف: الآية/ ١٦١

٣ – سورة التوبة: الآية/ ٩١

٤ – رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣١١، ومسلم- كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث رقم: ٣٠٠٦

- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ:

ومن أعظم آثار الإحسان: إحسانُ الله تعالى للعبد والجزاء من جنس العمل، فالمحسن أولى الناس بإحسان الله تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^١.

- من ثمار الإحسان ارتفاع الرتبة في العلم وتلقي الحكمة:

ومن ثمرة الإحسان ارتفاع الرتبة والمنزلة عند الله تعالى، وحسن الظن وعلو المكانة عند الخلق في العلم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

فلولا ما رآياه من يوسف عليه السلام من الإحسان لما بادرا بسؤاله، ولما أخبره كل واحد منهما بما رآه، وبما يعتمل في نفسه.

ومن ثمرة الإحسان تلقي الحكمة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

من أعظم أسباب الحسرة يوم القيام ترك الإحسان:

ومن أعظم أسباب الحسرة يوم القيام الإعراض عن الإحسان، والعدول عنه مع القدرة عليه؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ

١ - سورة الرحمن: الآية/ ٦٠

٢ - سورة يوسف: الآية/ ٣٦

٣ - سورة يوسف: الآية/ ٢٢

بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ^١.

فإن من الإحسان امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيهِ، وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرمه، والوقوف عند حدوده.

قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥] يَقُولُ: «مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فِي الْكِتَابِ»^٢.

١ - سورة الزمر: الآية/ ٥٣ : ٥٦

٢ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (٢٠ / ٢٣٢)

الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَتَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».^٢

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ».^٣

في هذه الأحاديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب في حب الله تعالى العبد.

١ - رواه البزار - حديث رقم: ٢٦٩٧، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٥٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى - حديث رقم: ٢١٠٦٨، ورواه في الآداب - حديث رقم: ١٧٤، والضياء في المختارة - حديث رقم: ٣٦٩

٢ - رواه مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصَّيْلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧

٣ - رواه البخاري في الأب المفرد - حديث رقم: ٥٤٤، والحاكم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّيْلَةِ، حديث رقم: ٧٣٢٣، وأبو يعلى - حديث رقم: ٣٤١٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٢٨٩٩، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢١٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في المصافحة والمعانقة، وغيرهما من وجه الإكرام عند اللقاء، حديث رقم: ٨٦٣١، وصححه

فَضْلُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ تَعَالَى:

الْحُبُّ فِي اللَّهِ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ:

مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قُلْنَا: الصَّلَاةُ قَالَ: «الصَّلَاةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَلِكَ» قُلْنَا: الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُعْضُ فِي اللَّهِ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِيهِ، وَالْبُعْضُ»^٢.

١ - رواه أبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٧٨٣، وتعظيم قدر الصلاة - حديث رقم: ٣٩٣، والروائي - حديث رقم: ٣٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٤)، بسند حسن
٢ - رواه الحاكم - حديث رقم: ٣٧٩٠، الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٣٥٧، والأوسط - حديث رقم: ٤٤٧٩، والصغير - حديث رقم: ٦٢٤، وابن أبي شيبه في مسنده - حديث رقم: ٣٢١، ومكارم الأخلاق للخرائطي - حديث رقم: ٧٦١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٩٠٦٥

الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^١.

الحُبُّ فِي اللَّهِ سَبَبٌ اسْتِشْعَارِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^٢.

قال القاضي عياض: وذلك أنه لا تتضح محبة الله ورسوله حقيقةً، والحُبُّ للغير في الله وكراهة الرجوع إلى الكفر، إلا لمن قوى بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط دمه ولحمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته.

ومعنى حب العبد لله: استقامته في طاعته، والتزامه بأوامره ونواهيه في كل شيء؛ ولهذا قال بعضهم: المحبة مواطاة القلب على ما يُرضى الرب، فيحبُّ ما أحب، ويكره ما كره^٣.

١ - رواه البزار - حديث رقم: ٢٦٩٧، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٥٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى - حديث

رقم: ٢١٠٦٨، ورواه في الآداب - حديث رقم: ١٧٤، والضياء في المختارة - حديث رقم: ٣٦٩

٢ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال من

اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٤٣

٣ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٧٨)

الأخوة الإيمانية من لوازم الحب في الله تعالى:

ومن لوازم الحب في الله تعالى استشعار ما بينك وبين المؤمنين من الأخوة الإيمانية التي هي أرفع درجة من إخوة النسب، وأقرب من كل سبب دنيوي، وما لتلك الأخوة من حقوق وواجبات، وما يترتب عليها من تبعات، وما لمن حققها من الفضائل والدرجات.

فضل مصاحبة الأخيار واتخاذ الإخوان الصالحين:

الأخوة الإيمانية تحقق محبة الله تعالى:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكاً فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»^١.

في هذا الحديث فضل الحب في الله تعالى وفضل زيارة الصالحين والأصحاب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تحابَّ رجلان في الله عز وجل إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه»^٢.

١ - رواه مسلم - كتاب الزَّيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْأَذَابِ، بَابُ فِي فَضْلِ الْخُبِّ فِي اللَّهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧

٢ - رواه البخاري في الأب المفرد - حديث رقم: ٥٤٤، والحاكم - كتاب الزَّيْرِ وَالصَّلَةِ، حديث رقم: ٧٣٢٣، وأبو يعلى - حديث رقم: ٣٤١٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٢٨٩٩، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢١٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في المصافحة والمعانقة، وغيرهما من وجه الإكرام عند اللقاء، حديث رقم: ٨٦٣١، وصححه الألباني

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا وَضَعَ اللَّهُ لَهُمَا كُرْسِيًّا فَأَجْلَسَا عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرَغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْحِسَابِ»^١.
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَإِذَا اتَّفَقَتْ تَشَامُ كَمَا تَشَامُ الْخَيْلُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا دَخَلَ مَسْجِدًا فِيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَذَهَبَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ الْوَاحِدِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُنَافِقًا دَخَلَ مَسْجِدًا فِيهِ مِائَةُ مُؤْمِنٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَذَهَبَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَى ذَلِكَ الْمُنَافِقِ الْوَاحِدِ»^٣.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا يَتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أن يكون إشارةً إلى معنى التشاكل في الخير والشر، والصلاح والفساد. فإن الخير من الناس يحرُّ إلى شكله والشرير يميل إلى نظيره ومثله، فالأرواح إنما تتعارف لغرائب طباعها التي جُبلت عليها من الخير والشرِّ، فإذا اتفقت الأشكال تعارفت وتآلفت، وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت، ولذلك صار الإنسان يُعرَفُ بقربنه ويُعتَبَرُ حاله بأليفه وصاحبه.

١ - رواه الطبراني في المعجم الكبير - حديث رقم: ٥٢

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، حديث رقم: ٣٣٣٦، ومسلم - بَابُ الْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، حديث رقم: ٢٦٣٨

٣ - رواه أبو الشيخ في الأمثال - حديث رقم: ١٠٨، وابن بطة في الإبانة الكبرى موقوفًا - حديث رقم: ٤٢٨، وأبو نعيم في صفة النفاق ونعت المنافقين - حديث رقم: ٦٦

والوجه الآخر: أنه إخبارٌ عن بدء الخلق في حال الغيب، على ما روي في الأخبار أن الله خلق الأرواح قبل الأجسام، فكانت تلتقي فتشام، فصار كلٌ منها إنما يُعرف ويُكر على ما سبق له من العهد المُتقدِّم، والله أعلم.^١

الأخوة الإيمانية تمنع من الوقوع في المعاصي:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْأَزْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ.^٢

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ لَمْ يُصِْبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنَّ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي لَكَفَّاهُ».^٣

فتأمل رحمك الله كيف تحوّل الأخوة الإيمانية بين العبد والوقوع في المعاصي لما يعلم من نظر صاحبه المؤمن التقي إليه، بخلاف قرناء السوء الذين يدفع بعضهم بعضاً إلى الآثام، ويؤثر بعضهم بعضاً إلى الشر والفساد، حتى يعير بعضهم بعضاً بالعفاف والطهر والبعد عن الرذيلة.

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١٥٣٠ / ٣)

٢ - رواه الطبراني في المعجم الكبير - حديث رقم: ٥٥٣٩

٣ - رواه ابن أبي شيبه في مصنفه - حديث رقم: ٣٥٤٥١، والبيهقي في الشعب - مقارنة أهل الدين ومودتهم، وإفشاء السلام بينهم، حديث رقم: ٨٦٥٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٠ / ٣)

الأخوة الإيمانية تعين على طاعة الله تعالى:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك، وكبير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتره، أو تجد ريحاً، وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة»^١.

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»^٢.

الأخوة الإيمانية توجب لأصحابها الاستظلال بظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^٣.

قال ابن العربي: قال علماؤنا: يحتمل أن يريد به أن الناس يضجون يوم القيامة، وتدنو الشمس منهم، فيشتد عليهم الحر، ولا ظل ذلك اليوم إلا ظله، فمن أظله الله ذلك اليوم فقد رحمه وفاز.^٤

١ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، حديث رقم: ٢١٠١، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قُرناء السوء، حديث رقم: ٢٦٢٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٦٦، والترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق الجوار، حديث رقم: ١٩٤٤، والبخاري في الأدب المفرد - حديث رقم: ١١٥، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٢٥٦٦

٤ - المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ٤٩٦)

قال النووي رحمه الله: قوله تعالى: «الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي» أي: بعظمتي وطاعتي لا للدنيا. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^١.

الأخوة الإيمانية من النعم التي امتن الله تعالى بها علينا:

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^٢.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^٣.

قال النووي عليه رحمة الله: قال العلماء رحمهم الله معناه لا يؤمن الإيمان التَّام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَّلَ الْمَسَاجِدَ، حديث رقم: ٦٦٠،

ومسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٣

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ حديث رقم: ١٣، ومسلم - كِتَابُ

الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، حديث رقم: ٤٥

الأخوة الإيمانية عُدةٌ في الدنيا والآخرة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عُدة في الدنيا والآخرة ألم تسمع إلى أهل النار وهم يقولون: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^١.

العناية باختيار الأصحاب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^٢.

قال المباركفوري رحمه الله: (عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فليُنظر) أي: فليتأمل وليتدبر (مَنْ يُخَالِلُ) من المخالاة وهي المصادقة والإخاء فمن رضي دينه وخلقه خالاه ومن لا تجنبه فإن الطباع سراقاة، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده. قال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء بالطبع من حيث لا يدري.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»^٣.

١ - سورة الشعراء: الآية/ ١١٠، ١١١

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٠٢٨، وأبو داود- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم: ٤٨٣٣، والترمذي- أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٢٣٧٨، والحاكم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، حديث رقم: ٧٣١٩، بسند حسن

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١١٣٣٧، وأبو داود- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم: ٤٨٣٢، والترمذي- أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صُحْبَةِ الْمُؤْمِنِ، حديث رقم: ٢٣٩٥، وابن حبان- كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصُّحْبَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، ذِكْرُ الْأَمْرِ لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَصْحَبَ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَلَا يُنْفِقَ إِلَّا عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ٥٥٤، بسند حسن

قال المباركفوري رحمه الله: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعم توقع الألفة والمودة في القلوب.

الصاحب صاحب:

قال طرفه بن العبد:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ ***** فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ ***** وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ

وقيل:

وعدوى البليد إلى الجليد سريعة ***** والنار توضع في الرماد فتخمد

وهل كان أضر على أبي طالب عند الوفاة من قرناء السوء؟

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّ عَمٍّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكُ عَنْكَ»، فَانْزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. [التوبة: ١١٣].^١

١ - رواه البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾. [التوبة:

١١٣]، حديث رقم: ٤٦٧٥

وقال علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتدأك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك، اصحب من لا يأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

قال الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم ***** لعلني أنال بهم شفاعة

وأبغض من تجارتم معاصي ***** وإن كنا سويًا في البضاعة

قيل لابن السماك أي الإخوان أحق ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينه، الوفي عقله، الذي لا يملك على القرب ولا ينساک على البعد، إن دنوت منه داناك وإن بعدت عنه رعاك، وإن استعنت به عَضْدُك وإن احتجت إليه رَفْدُك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.^١

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَجِدُونَ النَّاسَ كَأَيْلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً».^٢

١ - التذكرة الحمدونية (٤ / ٣٧٧)، رفدك: أي: أعطاك، والرفد العطاء.

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب قوله صلى الله عليه وسلم: النَّاسُ كَأَيْلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً، حديث رقم: ٢٥٤٧

قال الحافظ ابن حجر: المعنى لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطئاً سهل الانقياد، وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه ويلين جانبه.^١

قال عمر رضي الله عنه: «لَا تَعْتَرِضْ فِيمَا لَا يَغْنِيكَ، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، وَاحْتَفِظْ مِنْ حَلِيَّتِكَ إِلَّا الْأَمِيرَ فَإِنَّ الْأَمِيرَ لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ، لَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ، وَلَا تُفْشِرْ إِلَيْهِ سِرَّكَ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ».^٢

١ - فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٣٥)

٢ - رواه ابن أبي شيبة - كتاب الأدب، ما يُؤمَرُ بِهِ الرَّجُلُ فِي مَجْلِسِهِ، حديث رقم: ٢٥٥٢٨

حقوق الأخوة ولوازمتها:

رد غيبته والمنافحة عن عرضه:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

قال المباركفوري: قوله: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ» أي منع غيبة عن أخيه. «رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: صرف الله عن وجهه النار جهنم. قال: المناوي أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»^٢.

الدعاء له في حياته وبعد موته:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ»^٣.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥٣٦، والترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، حديث رقم: ١٩٣١، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب قتال أهل البغي، جماع أبواب الرعاة، باب ما في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، حديث رقم: ١٦٦٨٤، وفي شعب الإيمان - التعاون على البر والتقوى، حديث رقم: ٧٢٢٨، والخرائطي في مكارم الأخلاق - باب ما يستحب للمؤمن من الرد عن عرض أخيه المسلم، حديث رقم: ٨٨٥، وصححه الألباني

٢ - رواه البخاري - كتاب المظالم والعصب، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم: ٢٤٤٤

٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، حديث رقم:

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ اسْتَعْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»^١.

وهذا من تمام فضل الله تعالى على المؤمنين، ومن عظيم رحمته بهم؛ لأن فيه ترغيباً للدعاء لهم جميعاً وفيهم الطائع والعاصي، والمحسن والمسيء؛ قال الأمير الصنعاني: فيه الدعاء للعصاة فإنه عام لكل مؤمن ومؤمنة ومنهم من هو عاصٍ^٢.

النصيحة في الله تبارك وتعالى:

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^٣.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^٤.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيابة الحظ للمنصوح له.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»^٥.

١ - رواه الطبراني في مسند الشاميين - حديث رقم: ٢١٥٥، وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع رقم: ٦٠٢٦

٢ - التنوير شرح الجامع الصغير (١٠ / ٩٠)

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٥

٤ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "، حديث رقم: ٥٧، مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٦

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٦٦، والترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق الجوار، حديث رقم: ١٩٤٤، وابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب الجار، ذكر البيان بأن خير الجيران عند الله من كان خيراً لجاره في الدنيا، حديث رقم: ٥١٨، والحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٢٩٥، بسند صحيح

من أقوال السلف في الأخوة:

قال عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ الله عنه: «لَوْلا ثَلَاثٌ: لَوْلا أَنْ أُسَافِرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أُعَمَّرَ جَبْهَتِي فِي الثُّرَابِ سَاجِدًا أَوْ أُجَالِسَ قَوْمًا يَلْتَقِطُونَ طَيِّبَ الْقَوْلِ كَمَا يَلْتَقِطُونَ طَيِّبَ الثَّمَرِ لَسَرَّنِي أَنْ أَكُونَ لِحَقْتُ بِاللَّهِ»^١.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ، وَضَعُ أَمْرِ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ، وَمَا كَافَأَتْ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ مِثْلَ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، وَعَلَيْكَ بِصَالِحِ الْإِخْوَانِ، أَكْثَرَ اكْتِسَابَهُمْ فَإِنَّهُمْ زِينٌ فِي الرَّحَاءِ، وَعِدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَلَا تَسَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَكُونَ، فَإِنَّ فِي مَا كَانَ شُغْلًا عَنْ مَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَكُنْ كَلَامُكَ بَدَلَةً إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيهِ وَيَتَّخِذُهُ غَنِيمَةً، وَلَا تَسْتَعِنْ عَلَى حَاجَتِكَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ نَجَاحَهَا، وَلَا تَسْتَشِرْ إِلَّا الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَتَعْلَمَ مِنْ فُجُورِهِ، وَتَخْشَعَ عِنْدَ الْقُبُورِ»^٢.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضيَ الله عنه: «لَوْلا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيشَ يَوْمًا وَاحِدًا: الظَّمَأُ لِلَّهِ بِالْهُوَاجِرِ، وَالسُّجُودُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ مِنْ خِيَارِ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي أَطَايِبُ الثَّمَرِ»^٣.

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ شُعْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ بِهِ حَاجَتَهُ، إِنَّ بِهِ عِلَّتَهُ، يَفْرَحُ لِفَرَحِهِ، وَيَحْزَنُ لِحُزْنِهِ، وَهُوَ مِرَاةُ أَخِيهِ، إِنْ رَأَى مِنْهُ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وَقَوْمَهُ، وَوَجَّهَهُ، وَحَاطَهُ فِي السِّرِّ

١ - مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٦٢)

٢ - الزهد لأبي داود (ص: ٩٨)

٣ - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٣١ / ٢)

وَالْعَلَانِيَةِ، إِنَّ لَكَ مِنْ خَلِيلِكَ نَصِيًّا، وَإِنَّ لَكَ نَصِيًّا مِنْ ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَتَنَقُّوا الْإِخْوَانَ وَالْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسَ»^١.

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «تَنَقُّوا الْإِخْوَانَ وَالْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسَ، وَأَحِبُّوا هَوْنًا، وَأُبْغِضُوا هَوْنًا، فَقَدْ أَفْرَطَ أَقْوَامٌ فِي حُبِّ أَقْوَامٍ فَهَلَكُوا، وَأَفْرَطَ أَقْوَامٌ فِي بُغْضِ أَقْوَامٍ فَهَلَكُوا، فَلَا تُفْرِطْ فِي حُبِّكَ، وَلَا تُفْرِطْ فِي بُغْضِكَ، وَإِنْ رَأَيْتَ دُونَ أَخِيكَ سِتْرًا فَلَا تَكْشِفْهُ»^٢.

عَنِ ابْنِ الْمُكَدِّرِ، أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ قَالَ: فَمَا بَقِيَ مِمَّا يُسْتَلَذُّ؟ قَالَ: الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ"^٣.

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: "إِنَّ مِمَّا يَزِيدُنِي رَغْبَةً فِي الْحُجِّ لِقَى الْإِخْوَانِ، لَا أَلْقَاهُمْ فِي غَيْرِهِ"^٤.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: «أَعْلَمُ أَنِّي أَرَى أَنَّ الْمَوْتَ الْيَوْمَ كَرَامَةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ عَلَى السُّنَّةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو وَحَشَتْنَا، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ، وَقِلَّةُ الْأَعْوَانِ، وَظُهُورُ الْبِدْعِ، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، وَظُهُورِ الْبِدْعِ»^٥.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ: قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِخْوَانُ مِنْ أَنْفُسِ الدَّخَائِرِ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَأَنَّى لِإِكْتِسَابِهِمْ وَيَصِيدَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ كَمَا تُصَادُ الطَّيْرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ^٦.

١ - الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٣٢)

٢ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ١٨٠)، المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ١٥٩)

٣ - مسند ابن الجعد (ص: ٢٥٣)

٤ - أخبار مكة للفاكهي (٢/ ٣٦٣)

٥ - البدع لابن وضاح (٢/ ٨٤)

٦ - مكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٥٠)، والمنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ١٧٠)

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ قال: لستفر مروة، ولحضرم مروة، فأما مروة السفر؛ فبذل الزاد، وقلة الخلاف على أصحابك، وكثرة المزاح في غير مساحط الله عز وجل، وأما مروة الحضرم؛ فإدمان الاختلاف إلى المسجد، وكثرة الإخوان في الله تعالى، وتلاوة القرآن.^١

وقال علي بن داود الرقي:^٢

كُلُّ مَنْ كَانَ لَا يُؤَاخِيكَ فِي اللَّهِ ***** فَلَا تَرْجُ أَنْ يَدُومَ إِخَاؤُهُ
إِنَّ خَيْرَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ ***** لَهُ دَوَامٌ وَدِهِ وَصَفَاؤُهُ

١ - المجالسة وجواهر العلم (٢/ ١٩٤)

٢ - المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ٢٠١)

الصَّبْرُ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد الصبر؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^١.
 الصَّبْرُ فِي اللُّغَةِ: الْحَبْسُ وَالْكَفُّ. وَمِنْهُ: قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا. إِذَا أُمْسِكَ وَحَبَسَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ. وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى. وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ.
 وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللَّهِ.

فضل الصبر ومنزلته عند الله تعالى:

الصبر من صفات الله تعالى:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، إِنْهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^٢.
 الصبر من صفات الله تعالى التي وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نثبتها لله تعالى على الوجه الذي يليق به تعالى، بلا تكيف ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

وقال الحافظ ابن القيم: وفي أسمائه الحسنى الصبور وهو من أمثلة المبالغة أبلغ من الصابر والصابر وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: أنه لا يخاف الغوث والعبد انما يستعجل الخوف الغوث، ومنها: أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما، وظهور أثر الاسم في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٤٦

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَدَى، حديث رقم: ٦٠٩٩

والفرق بين الصبر والحلم أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع، ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم؛ كقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].^١

الله تعالى يحب الصابرين:

قال الله تعالى: ﴿وَكَايَئِنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.^٢

الصبر أوسع عطاء:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُعْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».^٣

الصبر قرين النصر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلِيمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ». فَقُلْتُ بَلَى. فَقَالَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ يَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا

١ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧٦)

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٤٦

٣ - رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، حديث رقم: ١٤٦٩، ومسلم- كتاب الزكاة، باب فضل التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، حديث رقم: ١٠٥٣

اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^١.

الصبر من عزم الأمور:

قال الله تعالى: ﴿تُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٣.

أي: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه.

الصبر صفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

قال الله تعالى عن أيوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَحُذِّ بِيدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^٤.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٦٣، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٥١٦، والحاكم في المستدرک - کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٣٠٤، والطبراني في الكبير حديث رقم: ١٢٩٨٨، بسند صحيح

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٨٦

٣ - سورة لقمان: الآية/ ١٧

٤ - سورة ص: الآية/ ٤٤

وقال تعالى عن إسماعيل وإدريس وذی الکِفْل علیهم السلام: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٍّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^١.

قال تعالى عن إسماعيل صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^٢.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُريدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَضْبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^٣.

فيه دليل على صبر الأنبياء عليهم السلام، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أقوامهم، وكثرة ما أُوذِيَ به موسى عليه السلام من بني إسرائيل.

الصبر نصف الدين:

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^٤.

١ - سورة الأنبياء: الآية / ٨٥، ٨٦

٢ - سورة الصافات: الآية / ١٠٢

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْحَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حَدِيثُ رَقْم: ٣٤٠٥، ومسلم- كِتَابُ الزُّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حَدِيثُ رَقْم: ١٠٦٢

٤ - رواه مسلم- كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٩٩٩

لا تخلو حياة العباد من السراء والضراء، فإذا كان حال السراء والنعماء شاكراً، وحال الضراء والبلاء صابراً، فهذا الذي يرجى له الخير، وهكذا يجب أن يكون المؤمن، والمؤمن شأنه عجيب لأنه مثاب على كل أحواله، فإن أصابته سراء شكر الله تعالى، وإن أصابته ضراء صبر ابتغاء رضوانه الله فكان صبره خيراً له.

الصابر في معية الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^١.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^٢.

أجر الصابر لا يعلمه إلا الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٣.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ نَادَى الْمُنَادِي: أَيُّنَ أَهْلِ الْفَضْلِ؟ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ. فَيَقُومُ عُقْبُ مِنَ النَّاسِ، فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيُّنَ يَا بَنِي آدَمَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: قَبْلَ الْحِسَابِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ. قَالُوا: وَمَا كَانَ فَضْلُكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْفُو إِذَا ظَلَمْنَا، وَنَغْفِرُ إِذَا أَسِيءَ إِلَيْنَا، وَنَحْلَمُ إِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا. قَالُوا: أَنْتُمْ كَمَا قُلْتُمْ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّنَ الصَّابِرُونَ؟ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ. فَيَقُومُ عُقْبُ مِنَ

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٤٩

٢ - سورة الأنفال: الآية / ٤٦

٣ - سورة الزمر: الآية / ١٠

النَّاسِ، فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ يَا بَنِي آدَمَ؟ فيقولون: إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: قَبْلَ الْحِسَابِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ. فَيَقُولُونَ: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؛ حَتَّى تَوْفَّانَا اللَّهُ.^١

أنواع الصبر:

للصبر أنواع ثلاثة: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي وصبر على المصائب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة: أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.^٢

الصبر على الطاعات:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٣

الصبر عن المعاصي:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ حَيْثِيهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».^٤

قال الطيبي: قوله: «مَنْ يَضْمَنْ لِي» عن بعضهم معناه: من يضمن لي لسانه أي شر لسانه وبوادره، وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره، مما يوجب الكفر والفسوق، وفرجه بأن يصونه

١ - المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٢٠٣)

٢ - المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٥)

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٥٣

٤ - رواه البخاري- كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، حديث رقم: ٦٤٧٤

من الحرام، أضمن له دخول الجنة. و «لحيته» -بفتح اللام- تننية لحي، وهما العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان علوًا وسفلًا.

أقول: أصل الكلام من يحفظ ما بين لحيه من اللسان مما لا يعنيه من الكلام والطعام دخل الجنة. فأراد أن يؤكد الوعد تأكيداً بليغاً فأبرزه في صورة التمثيل؛ ليشعر بأنه واجب الأداء، فشبه صورة حفظ المؤمن نفسه مما وجب عليه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهيه، وشبه ما يترتب عليه من الفوز بالجنة، وأنه واجب على الله بحسب الوعد أدائه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الواسطة والشفيع بينه وبين الله تعالى بصورة شخص له حق واجب الأداء على آخر، فيقوم به ضامن يتكفل له بأداء حقه. وأدخل المشبه في صورة المشبه به وجعله فرداً من أفراد، ثم ترك المشبه به وحل القرينة الدالة على ما يستعمل فيه من الضمان نحو قولك للمفتي الذي يتردد في فتواه: أراك أيها المفتي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى.^١

الصبر على المصائب:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.^٢

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِعَمَ الْعِدْلَانِ، وَنِعَمَ الْعِلَاوَةِ.^٣

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أَصْرَعٌ، وَإِنِّي

١ - شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠ / ٣١١١)

٢ - سورة البقرة: الآيات / ١٥٥ - ١٥٧

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الصَّبْرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى.

أَتَكْشَفُ فَادَعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكْشَفُ فَادَعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكْشَفَ، فَدَعَا هَا.^١

قال البدر العيني: حَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ وَلَهَا الْجَنَّةُ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى فَيُعَافِيَهَا، فَاخْتَارَتْ الصَّبْرَ، ثُمَّ قَالَتْ: أَحْشَى مِنْ كَشْفِ الْعَوْرَةِ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْقَطَعَ عَنْهَا التَّكْشِفُ.

ثم قال: وَفِيهِ فَضِيلَةٌ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الصَّرْعِ، وَأَنْ اخْتِيارَ الْبَلَاءِ وَالصَّبْرَ عَلَيْهِ يُورِثُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ الْأَخْذَ بِالشَّدَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَخْذِ بِالرُّخَصَةِ لِمَنْ عِلْمٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يُطِيقُ التَّمَادِي عَلَى الشَّدَةِ، وَلَا يَضْعَفُ عَنِ التَّزَامِهَا.^٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي». قَالَتْ إِيَّاكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى».^٣

قال القاضي عياض: قَوْلُهُ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى»: يَعْنِي الصَّبْرَ الَّذِي يَشُقُّ وَيَعْظُمُ تَحْمُلُهُ وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَيَقِلُّ صَابِرُهُ وَيُؤْجِرُ عَلَيْهِ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ عِنْدَ وَقُوعِ الْمَصِيبَةِ وَهَجُومِهَا،

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْمَرْضَى، بَابُ فَضْلِ مَنْ يُصْرَعُ مِنَ الرِّيحِ، حديث رقم: ٥٦٥٢، ومسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، حديث رقم: ٢٥٧٦

٢ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١ / ٢١٥)

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، حديث رقم: ١٢٨٣

وأما بعد الصدمة الأولى وبرد المصيبة وابتداء التسلي فكلُّ أحدٍ يصبر حينئذٍ، ويقل جزعه، ولذلك قيل: يجب للعاقل أن يلتزم حين مصابه ما لا بد للأحمق منه بعد ثلاث.^١

وقال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ.^٣

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.^٤

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٥

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ * الْآنَ حَقَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.^٦

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ

١ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٦٨)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٤٩

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦، ١٧

٤ - سورة آل عمران: الآية/ ١٤٢

٥ - سورة الأنفال: الآية/ ٤٦

٦ - سورة الأنفال: الآية/ ٦٥، ٦٦

أَدَّخِرُهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^١.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، إِنْهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^٢.

وقال القاسم بن عبد الرحمن: من أعطي قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وجسدا صابرا، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقي عذاب النار.

هل يجوز أن يسأل العبد ربه تعالى الصبر؟

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ. فَقَالَ «أَيُّ شَيْءٍ تَمَامُ النِّعْمَةِ» قَالَ دَعْوَةُ دَعَوْتُ بِهَا أَرْجُو بِهَا الْخَيْرَ. قَالَ: «فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالْفُوزَ مِنَ النَّارِ» وَسَمِعَ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ: «قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ». وَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ. فَقَالَ: «سَأَلْتَ اللَّهَ الْبَلَاءَ فَسَلْهُ الْعَافِيَةَ»^٣.

الصَّبْرُ ضِيَاءٌ:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ

١ - رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، حديث رقم: ١٤٦٩، ومسلم- كتاب الزكاة، باب فضل التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، حديث رقم: ١٠٥٣

٢ - رواه البخاري- كتاب الأدب، حديث باب الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، رقم: ٦٠٩٩، ومسلم- كتاب صفات المُتَّقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، باب لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٢٨٠٤

٣ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٣٥٢٧، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٩٧، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا»^١.

قال الأمير الصنعاني: الصبر حبس النفس عن فعل ما يقبح وعلى فعل ما يحسن فمن التزمه فهو ضياء له في تروكه وأفعاله والضياء أقوى من النور بحكم الوضع ولذا نسب الضياء إلى الشمس، والنور إلى القمر؛ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، ولما كان الصبر لا بد منه في فعل كل طاعة وترك كل معصية سمي بأقوى الاسمين لا أنه أقوى من كل طاعة في الإثارة والهداية إلى الطاعات فعلاً وإلى المعاصي تركاً.^٢

وقيل: لأن مستعمله يرى طريق الرشd، وتارك الصبر في ظلمات الجزع.^٣

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله من معك على هذا الأمر قال: «حُرٌّ وَعَبْدٌ». قلت ما الإسلام قال: «طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ». قلت ما الإيمان قال: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»^٤.

فسر الحسن البصري الصبر والسماحة، فقال هو الصبر عن محارم الله، والسماحة بإدائه فرائض الله عز وجل.^٥

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»^٦.

١ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣

٢ - التنوير شرح الجامع الصغير (٢ / ٣٠٩)

٣ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤ / ١٥٥)

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٩٤٣٥، وابن أبي شيبة في مسنده - حديث رقم: ٧٥٧، بسند فيه ضعف

٥ - جامع العلوم والحكم ت: الأرئوط (١ / ١٢١)

٦ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٦٣٣، والبيهقي في الشعب - حديث رقم: ٩٣٢٧، بسند جيد

قالوا عن الصبر:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

وقال عمر رضي الله عنه: وَجَدْنَا حَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ.^١

وقيل:^٢

اصْبِرْ	لِمَرِّ	حَوَادِثِ	الدَّهْرِ	*****	فَلتَحْمَدَنَّ	مَغِبَةَ	الصَّبْرِ
وَاجْهَدْ	لِنَفْسِكَ	قَبْلَ	مَيِّتَتِهَا	*****	وَإِذْخَرْ	تَفَاضُلِ	الدُّخْرِ
فَكَأَنَّ	أَهْلَكَ	قَدْ	دَعَاكَ	فَلَمْ	تَسْمَعْ	وَأَنْتَ	مُحْشَرَجِ
وَكَاثِمُ	قَدْ	قَلْبُوكَ	عَلَى	*****	ظَهَرَ	السَّرِيرِ	وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
وَكَاثِمُ	قَدْ	زَوَّدُوكَ	بِمَا	*****	يَتَزَوَّدُ	الْهَلَكَى	مِنَ الْعَطْرِ

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الصَّبْرِ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، تعليقا

٢ - التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢٩)

المدوامةُ على الفرائض والإكثار من النوافل

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد المدوامة على الفرائض والإكثار من النوافل؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنْتَهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^١.

النَّافِلَةُ هِيَ: كُلُّ عَطِيَّةٍ تَبَرَّعَ بِهَا مُعْطِيهَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلٍ خَيْرٍ^٢.

وَسَمَّيْتُ النَّوَافِلَ فِي الْعِبَادَاتِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الْفَرَائِضِ.

لماذا جعل الله محبته لمن يتقرب إليه بالنوافل؟

سألت امرأةً الليث بن سعدٍ رحمه الله رطلا من العسل تداوي به ولدها، فأمر الليث كاتبه أن يعطيها مرطاً من العسل. والمرط مائة وعشرون رطلاً.

فقال له كاتبه: سألتك رطلاً من العسل وأنت تعطيها مرطاً!

فقال الليث: سألتنا على قدرها فأعطيناها على قدرنا.

الفرق بين النافلة والفريضة:

عَنْ زُبَيْدِ الْيَامِيِّ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةُ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَحْلِفَهُ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَضُّعِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٥٠٢

٢ - لسان العرب (١١ / ٦٧١)

عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ، وَحَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا تُقْلَتُ مَوَازِينُ مَنْ تُقْلَتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا، وَتُقْلَهُ عَلَيْهِمْ وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ، وَخَفَّتْهُ عَلَيْهِمْ وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا» ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ وَصِيَّتِهِ: «فَإِنْ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ قَوْلِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْعَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ»^١.

من صور النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى:

الصيام:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^٢.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلُ الْجَنَّةِ»^٣.

١ - رواه ابن أبي شيبة مصنفه - كتاب الزهد، حديث رقم: ٣٤٤٣٣، وابن المبارك في الزهد - باب ذِكْرِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى وَجَلَّ وَعَلَا، حديث رقم: ٩١٤

٢ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، حديث رقم: ١١٦٢

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٣٢٤، والبيهقي في الأسماء والصفات - حديث رقم: ٦٥١، بسند صحيح

الصلاة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».^١

الصدقة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».^٢

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ»؛ أي: مَا يَعَادِلُهَا فِي قِيَمَتِهَا، وَعَدْلُ الشَّيْءِ مِثْلُهُ فِي الْقِيَمَةِ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ كَسَبَ طَيِّبٍ»؛ أي: حَالَالٌ لَا شَبْهَةَ فِيهِ، بِخِلَافِ الرِّبَا وَالرِّشَا وَالسُّحْتِ وَالْغَصَبِ، وَقَوْلُهُ: «يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ»؛ فِيهِ إِثْبَاتٌ لصفة اليدِ لِلَّهِ تَعَالَى نَشَبَتْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِلا تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَوَصَفَهَا لِلبركةِ لِأَنَّ الشَّامِلَ عِنْدَ الْخَلْقِ مَحَلُّ النَّفْصِ وَالضَّعْفِ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ: «كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ»؛ الْقُلُوبُ: الْمُهَرُّ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قُلِّيٌّ عَنْ أُمِّهِ أَيْ فُصِّلَ وَعُزِّلَ، وَذَكَرَ الْمُهَرُّ لِعَنَایَةِ صَاحِبِهِ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الصَّيَامِ، بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١١٦٣

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرِيِّي الصَّدَقَاتِ﴾، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٧٧﴾، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٤١٠

الأسباب المعينة على التقرب لله بالنوافل:

الاستعانة بالله:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ» فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، فَقَالَ: «وَأَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^١.

معرفة فضائل العبادات:

لكل عبادة من العبادات أثرٌ عظيمٌ جداً على المسلم، فمن ذلك، الفوز بمحبة الله تعالى، ومنها أن ينال العباد رضي الله تعالى، ومنها زيادة الإيمان، ورفع الدرجات، ومنها تكفير الذنوب والسيئات، ومنها العيشة الهنيئة، ومنها حسن الخاتمة، في فضائل لا تحصى كثرةً، أذكر شيئاً يسيراً من الأدلة على تلك الفضائل حتى لا نخرج عن مضمون الكتاب، وإلا فلو أطلنا النَّفْسَ في سرد تلك الأدلة لاحتاج ذلك إلى مجلدات، ولعل الله تعالى أن ييسر جمع ذلك في مؤلف مستقل إن شاء الله تعالى؛ ومن تلك الأدلة على فضائل تلك العبادات التي لها أكبر الأثر في معونة العباد على التقرب لله تعالى، وما ورد في فضل ذكر الله تعالى؛ ما ثبت عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه،

١ - رواه أبو داود - كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٢٢، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، الحث على قول: «رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» دُبُرِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٩٨٥٧، وابن خزيمة - كتاب الصلاة «المُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطْنَا فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ»، باب الْأَمْرِ بِمَسْأَلَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ الْمَعُونَةَ عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَالْوَصِيَّةِ بِذَلِكَ، حديث رقم: ٧٥١، وابن حبان - كتاب الصلاة، باب صِفَةِ الصَّلَاةِ، فَضْلٌ فِي الْقُنُوتِ، ذِكْرُ الاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ عَقِبَ الصَّلَاةِ الْمَقْرُوضَاتِ، حديث رقم: ٢٠٢٠، والحاكم - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذِكْرُ مَنَاقِبِ أَحَدِ الْفُقَهَاءِ السَّبْتَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٥١٩٤، بسند صحيح

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْقَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى»^١.

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ حَاطِيَةٍ»^٢.

ومما ورد في فضل تلاوة القرآن، ما ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^٣.

ومما ورد في فضل الوضوء؛ ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ حَاطِيَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ حَاطِيَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥٢٥، والترمذي - أَبَوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مِنْهُ، حديث رقم: ٣٣٧٧، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالِدُّعَاءِ، حديث رقم: ٢٦٩٨

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، فَضْلُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: ٥٠١٥، ومسلم - كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، حديث رقم: ٨١١

الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»^١.

ومما ورد في فضل الإكثار من صلاة النافلة؛ ما ثبت عن مَعْدَانَ بْنِ طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ - أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ. قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»^٢.

ومما ورد في فضل صيام النافلة؛ ما ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^٣.

ومما ورد في فضل الحج، ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^٤.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ خُرُوجِ الْخَطَايَا مَعَ مَاءِ الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٤

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٤٨٨

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٨٤٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمَنْ يُطِيقُهُ بِلَا ضَرَرٍ، وَلَا تَعْوِيَةٍ حَقٍّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١١٥٣

٤ - رواه البخاري - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٥٢١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ: فِي فَضْلِ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٣٥١

ومما ورد في فضل المتابعة بين الحج والعمرة، ما ثبت عن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما، تنفي الفقر والدُّنوب، كما ينفي الكبر، حَبَثَ الحديد»^١.

ومما ورد في فضل الصدقة، ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِمِمينه، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^٢.

استشعار العجز والتقصير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ»، قَالَ: «يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَأْنِيكَ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَمَّا أَمَّا نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ»^٣.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٦٩٨، وابن ماجه - كتاب المناسك، باب فضل الحج والعمرة، حديث رقم: ٢٨٨٧،

بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، حديث رقم: ١٤١٠، ومسلم - كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيته، حديث رقم: ١٠١٤

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٤٩٤، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُتَمُّهَا صَاحِبُهَا تُتَمُّ مِنْ تَطَوُّعِهِ»، حديث رقم: ٨٦٤، والنسائي - كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم: ٤٦٦، والحاكم - كتاب الطهارة، حديث رقم: ٩٦٥، وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، حديث رقم: ١٤٢٥، وأبو يعلى - حديث رقم: ٦٢٢٥، بسنده صحيح

أثر النوافل على العبد في الآخرة:

لعل نجاتك في فعل نافلة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^١.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ»، بيان وجوب الاستكثار من فعل الطاعات فإن القصاص ربما يذهب الحسنات حتى لا تبقى منه حسنة، ولعل نجاة العبد قد تتوقف يوم القيامة على حسنة يثقل بها الميزان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ

١ - رواه مسلم - كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨١

فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنَى يَعْتَبِرُ فَيَنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرَقَتِهِ»^١.

١ - رواه مسلم - كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، حديث رقم: ١٠٢٢

التَّطَهُّرُ

ومن أسباب محبة الله تعالى التطهر؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^١.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^٢.

عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ «لَقَدْ هَمَّانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِعَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ»^٣.

فضل التطهر:

الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسِهِ فَمَعَتِقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا»^٤.

قال النووي: وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَجْرَ فِيهِ يَنْتَهِي تَضَعِيفُهُ إِلَى نِصْفِ أَجْرِ الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢

٢ - سورة التوبة: الآية/ ١٠٨

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْإِسْتِطَابَةِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٦٢

٤ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٢٣

مِنَ الْخَطَايَا وَكَذَلِكَ الْوُضُوءُ؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ، فَصَارَ لِتَوْفُّقِهِ عَلَى الْإِيمَانِ فِي مَعْنَى الشَّطْرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ هُنَا الصَّلَاةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَالطَّهَّارَةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ فَصَارَتْ كَالشَّطْرِ، وَلَيْسَ يَلْزَمُ فِي الشَّطْرِ أَنْ يَكُونَ نِصْفًا حَقِيقِيًّا، وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَانْقِيَادٌ بِالظَّاهِرِ، وَهُمَا شَطْرَانِ لِلْإِيمَانِ وَالطَّهَّارَةُ مُتَضَمِّنَةٌ الصَّلَاةَ فَهِيَ انْقِيَادٌ فِي الظَّاهِرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^١

الطُّهُورُ سَبَبُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».^٢

قال النووي: وَالْمُرَادُ بِالْخَطَايَا الصَّغَائِرُ دُونَ الْكَبَائِرِ.^٣

وقال الشوكاني: وَظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ الْعُمُومُ.^٤

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابُحِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْشَرَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ أُنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ

١ - شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠٠)

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَّارَةِ، بَابُ خُرُوجِ الْخَطَايَا مَعَ مَاءِ الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٤

٣ - شرح النووي على مسلم (٣/ ١٣٣)

٤ - نيل الأوطار (١/ ١٨٧)

خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَطْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَطْفَارِ رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ.^١

وَعَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَقَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا بِوُضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ، فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوُضُوءِ، ثُمَّ تَمَضَّمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».^٢

الطُّهُورُ مِنْ سَمَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا».^٣

١ - رواه مالك - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ جَامِعِ الْوُضُوءِ، حَدِيثُ رَقْم: ٣٠، والنسائي - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ مَسْحِ الْأُذُنَيْنِ مَعَ الرَّأْسِ وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَكْثَمَا مِنَ الرَّأْسِ، حَدِيثُ رَقْم: ١٠٣

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ الْمَضْمَضَةِ فِي الْوُضُوءِ، حَدِيثُ رَقْم: ١٦٤، ومسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ صِفَةِ الْوُضُوءِ وَكَمَالِهِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٢٦

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ: هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ وَقَالَ ابْنُ عُمرَ إِنَّمَا الْغُسْلُ عَلَى مَنْ نَجَسَتْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ، حَدِيثُ رَقْم: ٨٩٦

الطُّهُورُ علامة المؤمنين يوم القيامة:

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ رَأَى أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ الْمَنْكِبَيْنِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى رَفَعَ إِلَى السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»^١.

الطُّهُورُ من أعظم أسباب دخول الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ: «عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: (مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَيُّ لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ)^٢.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبِي فَرَوَّحْتُهَا بِعِشْيٍ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ حِثَّتْ أَنْفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ

١ - رواه البخاري - كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، حديث رقم: ١٣٦، ومسلم -

كتاب الطَّهَارَةِ، باب استحباب إطالة الغُرَّةِ والتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٢٤٦

٢ - رواه البخاري - أبواب التهجد، باب فضل الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفَضْلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، حديث

رقم: ١١٤٩

ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^١.

التحذير من الاعتداء في الطهور:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَقِّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصَرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهْرِ وَالِدُّعَاءِ»^٢.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»^٣.

وَعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فَأَنَّى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَدْرُ ثَلَاثِي الْمُدِّ»^٤.

وَعَنْ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَسِّلُهُ الصَّاعُ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيُوضِئُهُ الْمُدُّ»^٥.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الذِّكْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَقَبَ الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٤

٢ - رواه أبو داود - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٩٦، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ الْوُضُوءِ بِالْمُدِّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٠١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْخَيْضِ، بَابُ الْقَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ مِنَ الْمَاءِ فِي غُسْلِ الْجَنَابَةِ وَغُسْلِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَغُسْلٍ أَحَدَهُمَا بِفَضْلِ الْآخَرِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٢٥

٤ - رواه أبو داود - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ مَا يُجْزَى مِنَ الْمَاءِ فِي الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٩٤، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٥ - رواه مسلم - كِتَابُ الْخَيْضِ، بَابُ الْقَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ مِنَ الْمَاءِ فِي غُسْلِ الْجَنَابَةِ وَغُسْلِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَغُسْلٍ أَحَدَهُمَا بِفَضْلِ الْآخَرِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٢٦

التوبة

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد التوبة لله تعالى؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».^١

قال ابن القيم: حقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم.^٢

فضل التوبة ومنزلة التائبين عند الله تعالى:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن امرأة من جهينة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حُبلى من الرزى، فقالت: يا نبي الله، أصبتُ حداً، فأقمه عليّ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليّها، فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأُتني بها»، ففعل، فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكّت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تُصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: «لقد تابّت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟».^٣

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وثب إليه»، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويحك، ارجع

١ - رواه الترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٤٩٩،

وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٥١

٢ - مدارج السالكين (١/ ١٩٩)

٣ - رواه مسلم - كتاب الحُدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، حديث رقم: ١٦٩٦

فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أَطَهَّرُكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزَّيْنِ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِهَ جُنُونٌ؟» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزْنَيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: افْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأُرْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحُكَ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبَلِي مِنَ الزَّيْنِ، فَقَالَ: «أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكَ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْعَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذَا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدْعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ يُرْضِعُهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا»^١.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الْخُدُودِ، بَابُ مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزَّيْنِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٦٩٥

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، مِائَةً مَرَّةً.^١

قال ابن القيم رحمه الله: ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.^٢

التوبة سبب في تبديل الله عز وجل سيئات العبد حسنات:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.^٣

قال ابن القيم: وهذا من أعظم البشارة للتائب إذا اقترن بتوبته إيمان وعمل صالح، وهو حقيقة التوبة.^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٧٢٦، أبو داود - باب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوُتْرِ، باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥١٦، وابن ماجه - كِتَابُ الْأَدَبِ، باب الاستغفار، حديث رقم: ٣٨١٤، بسند صحيح

٢ - مدارج السالكين (١ / ١٩٦)

٣ - سورة الفرقان: الآية / ٧٠

٤ - مدارج السالكين (١ / ٤٦٧)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَرَأْنَا هَذِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَتَيْنِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرِحَ بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحَهُ بِهَا وَفَرِحَ بِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^١.

التوبة سبب سعادة العبد:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ»^٢.
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ سَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رُقْعَةٍ»^٣.

التوبة سبب الفلاح في الدنيا والآخرة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْزَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

١ - رواه ابن أبي عاصم في السنة - حديث رقم: ٩٧٢، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٢٩٣٥، وابن الأعرابي في معجمه - حديث رقم: ٢٣٩٤، وفيه علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف.

٢ - رواه الحاكم - كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦٠٢، وقال صحيح الإسناد

٣ - رواه الحاكم - معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم: ٧١٢٣

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^١.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ نَفْسَهُ عَنِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَلْقُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ خَيْرٍ لَكُمْ مِنْ قِلَّةِ الذُّنُوبِ»^٢.

الدائب: بجمزة بعد الألف هو المتعب نفسه في العبادة المجتهد فيها.

المداومة على التوبة علامة على حسن الخاتمة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^٣.

١ - سورة النور: الآية/٣١

٢ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد- بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْوِيفِ عَوَاقِبِ الذُّنُوبِ، حديث رقم: ٦٧، وأبو يعلى - حديث رقم: ٤٩٥٠، وابن أبي الدنيا في الورع - حديث رقم: ٤، بسند ضعيف

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُؤْيِدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم: ٧٥٠٧، ومسلم- كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٨

التوبة سبب محبة الله تعالى للعبد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^١.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهِمَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»^٢.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْ لَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْ لَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَا سَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ:

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ فِي الْحُضْرِ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَجِ بِهَا، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٧٤٤

قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أَرَادَ، فقبضته ملائكة الرحمة»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذَكَرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ^١.

توبة العبد العاصي:

وروي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه فقالوا يا كريم الله ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فقال موسى عليه السلام إلهي اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والمشايخ الركع، فما زادت السماء إلا تقشعاً، والشمس إلا حرارة فقال الله تعالى: فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فنادى في الناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم. فقال موسى: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون، فأوحى الله إليه: منك النداء ومني البلاغ. فقام منادياً وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر. فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحداً خرج فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدت معهم منعوا لأجلي، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فعاله، وقال: إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلتني وقد أتيتك طائعاً فاقبلني. فلم يستم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمرت كأفواه القرب فقال موسى: إلهي وسيدي بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحداً! فقال: يا موسى

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٠، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبُول تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ، حديث رقم: ٢٧٦٦، واللفظ له.

سقيتكم بالذي به منعتكم. فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني، أفضحه وهو يطيعني! يا موسى إني أبغض النمامين أفأكون نمامًا.^١

والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه

أركان التوبة:

الندم:

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ حُمَيْدًا الطَّوِيلَ يَقُولُ: قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟» قَالَ: نَعَمْ.^٢

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُقَرَّنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ: مَرَّةً سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْئِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْئِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».^٤

١ - التوابين لابن قدامة (ص: ٥٥)

٢ - رواه ابن حبان في صحيحه - كتاب الرقائق، بابُ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٦١٣

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٥٦٨، وابن ماجه - كتابُ التَّوْبَةِ، بابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٢، وابن حبان - كتابُ الرِّقَائِقِ، بابُ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٦١٢، والحاكم - كتابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦١٢، وأبو يعلى في مسنده - حديث رقم: ٤٩٦٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٥٨٦٤، والبيهقي - حديث رقم: ١٩٢٦، بسند صحيح

٤ - رواه مسلم - كتاب التَّوْبَةِ، بابُ سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً، حديث رقم: ٢٧٤٩

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ»^١.

الإقلاع عن الذنب:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، فقال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَادْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَحْدِثْ لِلَّهِ فِيهِ تَوْبَةً: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»^٢.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ"^٣.

وعن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^٤.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦١٦٠، والترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٣٥٣٧، وابن ماجه - كتاب الزُّهْد، باب ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٣، بسند حسن

٢ - رواه الطبراني - حديث رقم: ٣٣١، والبيهقي في الشعب - فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، حديث رقم: ٥٤٤، بإسناد حسن

٣ - رواه الأصبهاني في الترهيب والترهيب - باب في الترهيب في التوبة، حديث رقم: ٧٧٨، كتاب التوبة لابن عساكر - حديث رقم: ١٢

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الزُّهْد، باب ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٠، والطبراني - حديث رقم: ١٠٢٨١، وحسنه الألباني

العزم على ترك العود:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَخْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اِعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ. قَالَ عَبْدٌ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ اِعْمَلْ مَا شِئْتَ»^١.

قوله: فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكذابين.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ سُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَغْلِقَ بِهَا قَلْبُهُ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].^٢

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُؤْيِدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم:

٧٥٠٧، ومسلم- كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٨

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٧٩٥٢، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ، حديث رقم: ٤٢٤٤، والحاكم-

كِتَابُ التَّفْسِيرِ، حديث رقم: ٣٩٠٨، حديث حسن

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالت قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ. قَالَ: "وَتَفْعَلُونَ؟" قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ شَيْئًا أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْنَاهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. قَالَ: "بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ".^١

التوبة وظيفة العمر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».^٢

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ، عَلَى آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ».^٣

الآخية بمد الهمزة وكسر الخاء المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة هي حبل يدفن في الأرض مثنياً، ويبرز منه كالعروة تشد إليها الدابة. وقيل: هو عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ، لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ».^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٦٦، والحاكم في المستدرک - کتابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٧٤، والطبراني في الكبير -

حديث رقم: ١٢٣٢٢، ورواه رواية الصحيح، والترغيب والترهيب (٤/ ٤٧)

٢ - رواه البخاري - کتابُ الدَّعَوَاتِ، بابُ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، حديث رقم: ٦٣٠٧

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٣٣٥

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أُبُوهُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأُبُوهُ لَكَ بِذَنْبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلُهُ»^١.

وعن أنس، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^٢.

موانع قبول التوبة:

التوبة عند الحشرة ومعينة ملائكة الموت:

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^٣.
يعملون الذنوب حتى إذا حضر أحدهم الموت وأخذ في النزع قال عند مشاهدته ما هو فيه: إني تبت الآن فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الرُّهْدِ، بابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٤٨، بسند صحيح

١ - رواه البخاري - كتاب الدَّعَوَاتِ، بابُ أَفْضَلِ الْإِسْتِغْفَارِ، حيث رقم: ٦٣٠٦

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٣٠٤٩، الترمذي - أبوابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٤٩٩، وابن ماجه - كتاب الرُّهْدِ، بابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥١، والدارمي - وَمِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، باب: فِي التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٢٧٦٩، والبخاري - حديث رقم: ٧٢٣٦، والحاكم - كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦١٧، وقال صحيح الإسناد، وحسنه الألباني

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٨

التوبة عن طلوع الشمس من مغربها:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^١.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»^٢.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، قال: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا^٣.

وعن مجاهد، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»^٤.

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^٥.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٥٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٢٦٦، بسند صحيح

٣ - رواه سعيد بن منصور في تفسيره - حديث رقم: ٩٣٩

٤ - رواه الطبري (٢٥ / ١٠)

٥ - رواه مسلم - كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».^١

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ قَبْلِ الْمَغْرِبِ لَبَابًا مَسِيرَةً عَرْضُهَا أَرْبَعُونَ عَامًا أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً، فَتَحَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّوْبَةِ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَا يُغْلِقُهَا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ سَبْعَةٌ مُغْلَقَةٌ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ».^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْهُ، حديث رقم:

٢٧٠٣

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨١٠٠، والترمذي - أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، حديث رقم: ٣٥٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٦٦٧٤

٣ - رواه أبو يعلى - حديث رقم: ٥٠١٢، والحاكم - كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦٧١، والطبراني - حديث رقم: ١٠٤٧٩، وابن أبي شيبه - حديث رقم: ٣٠٧، بإسناد جيد

الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ، حَدِيثٌ فَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ فَلَقَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ حَدِيثٌ فَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ قَالَ: لِلَّهِ أَبُوكَ فَقَدْ لَقَيْتَنِي. قَالَ: قُلْتُ: حَدِّثْنِي بَلِّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَكَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً» قَالَ: فَلَا أَخَالُنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: «رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُجَاهِدًا فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]، قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَهُ جَارٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى إِذْيَائِهِ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ إِمَّا بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُسَافِرُ مَعَ قَوْمٍ فَأَذْجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْكَرَى وَالنُّعَاسُ فَضَرَبُوا رُءُوسَهُمْ، ثُمَّ قَامَ فَتَطَهَّرَ رَهْبَةً لِلَّهِ وَرَغْبَةً لِمَا عِنْدَهُ، قُلْتُ: فَمَنْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: الْمُحْتَالُ الْفُحُورُ، وَأَنْتُمْ

تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، قُلْتُ: وَمَنْ؟
قَالَ: الْبَخِيلُ الْمَنَّانُ قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: التَّاجِرُ الْخَلَّافُ أَوْ الْبَائِعُ الْخَلَّافُ.^١

الناس في الجهاد طرفان ووسط:

منهم من يرى أن الجهاد تطرف وإرهاب ورجعية، وقريناً من هذا الصنف من يقول ليس في الإسلام شيء اسمه جهاد الطلب، وإنما شرع الجهاد فقط للدفاع عن النفس.

ومنهم من يستحل دماء المسلمين، أو يستبيح قتل الذميين الذين يعيشون في بلاد المسلمين.

والوسط هم الذين يقولون بوجوب الجهاد ولكن بشروطه المعتبرة.

الحكمة من تشريع الجهاد في الإسلام:

إقامة العدل في الأرض:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا».^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٦، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٤٧٠، والحاكم - كتاب الجهاد، حديث رقم:

٢٤٤٦، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٦٣٧، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصية إياهم بأداب الغزو وغيرها، حديث

رقم: ١٧٣١

فضل الجهاد في سبيل الله:

ليس في الإسلام عملٌ يعدلُ الجهادَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَقُومَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنْتُ فِي طَوْلِهِ، فَيَكْتَتِبُ لَهُ حَسَنَاتٍ»^١.

وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أَتَابِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أَتَابِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. [التوبة: ١٩]

الآيَةُ إِلَى آخِرِهَا.^٢

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٧٨٥

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، حَدِيثُ رَقْمٍ: ١٨٧٩

الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عَمَلٍ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»^١.

فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^٢.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعَدَّهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^٣.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حَدِيثُ رَقْم: ٢٦، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حَدِيثُ رَقْم: ٨٣.

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٧٩٠.

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ بَيَانِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، حَدِيثُ رَقْم: ١٨٨٤.

تَكْفُلَ اللَّهُ لِمَنْ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشُعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ لَطِيبُهَا، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ، اغْزَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^١.

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»^٢.

قوله: «فُوقَ نَاقَةٍ» هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة تضم فائوه وتفتح، وقيل ما هو بين الشُخْبَيْنِ، والشُخْبَانِ ما يخرج من اللبن. والفواق في الأصل رجوع اللبن إلى الضرع بعد الحلب، سمي فُوقًا لأنه نزل من فوق.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^٣.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٠٧٦٨، الترمذي - أبواب فضائل الجهاد عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ

فِي فَضْلِ الْعُدُوِّ وَالرَّوَاكِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم: ١٦٥٠، بسند حسن

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٠٥٠، أبو داود - كتاب الجهاد، بَابُ فِيمَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ، حديث رقم:

٢٥٤١، بسند صحيح

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦٩

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ»^١.

أثر الإغراض عن الجهاد:

الذل:

إذا ترك المسلمون الجهاد في سبيل الله تعالى، وأعرضوا عن أمر الله تعالى، ولم يدركوا الغاية التي من أجلها أمرهم الله تعالى بالجهاد، أو أدركوا الغاية من الجهاد لكنهم آثروا رضى أعداء الله تعالى، أذلهم الله تعالى ذلاً لا عزَّ بعده، حتى لا يقيم لهم أعداؤهم وزناً ولا يعرفون لهم قدراً، فلا يفتقدوا إذا غابوا، ولا يستشاروا إذا حضروا، يولي عليهم أعداؤهم شروطهم إملاءً، وليس لهم معهم إلا الإذاعن والخضوع، يعاملهم أعداؤهم معاملة السيد للعبيد، ولا سبيل لهم إلى العزة إلا إذا راجعوا دينهم، وثاب إليهم رشدُهم، وأخذوا بما أعرضوا عنه من دين الله تعالى؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^٢.

الوقوع في الكفر والنفاق:

قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، حديث رقم: ٩٠٦، ومُسَلِّم - كتاب الإمارة، باب فضل

الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم: ١٨٧٦

٢ - رواه أبو داود - كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، حديث رقم: ٣٤٦٢، بسند صحيح

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦٧

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، أي: في الشرك والاثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^١.

قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبين: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي سُكَيْنَةَ: أَمْلَى عَلَيَّ ابْنُ الْمُبَارَكِ بَطْرُسُوسَ، وَوَدَّعْتُهُ، وَأَنْفَذَهَا مَعِيَ إِلَى الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

يَا عَبْدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا	*****	لَعَلَّمْتَ أَنْكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ	*****	فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُنْعِبُ حَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ	*****	فَنُحُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا	*****	وَهَجُ السَّنَابِكِ وَالْغَبَارُ الْأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالٍ نَبِينَا	*****	قَوْلُ صَاحِبِ صَادِقٍ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي وَغُبَارَ حَيْلِ اللَّهِ فِي	*****	أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانَ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا	*****	لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

قال: فلقيت الْفُضَيْلَ بكتابه في الْحَرَمِ، فَلَمَّا قَرَأَهُ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ: صدق.^٢

١ - رواه مسلم - بَابُ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْعَزْوِ، حديث رقم: ١٩١٠

٢ - تاريخ الإسلام (١٢ / ٢٤٠)

الْعَدْلُ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد القسط والعدل والإنصاف؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^٣.

العدل في ميزان الشرع:

إقامة العدل في الأرض من مقاصد الشرع:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٤.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٤٢

٢ - سورة الحجرات: الآية/ ٩

٣ - سورة الممتحنة: الآية/ ٨

٤ - سورة النحل: الآية/ ٩٠

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الْمُفْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^٢.

وعن عبادة بن الصّاميت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يُفَكُّهُ مِنْهَا إِلَّا عَدْلُهُ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ نَسِيَهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا»^٣.

وقال الحسين بن علي: "لَمَّا حَجَّ هَارُونُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَالِكٍ بِكَيْسٍ فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ وَانْصَرَفَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَالِكٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: قُلْ لَهُ: إِنَّ الْكَيْسَ بِخَاتَمِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^٤.

١ - رواه مسلم - كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرقي بالريعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: ١٨٢٧

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٧٥٨، بسند صحيح

٤ - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب دَمَ الْعَالِمِ عَلَى مُدَاخَلَةِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ، حديث رقم: ١١٢٥

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُجَابَةً لَجَعَلْتُهَا فِي الْإِمَامِ»^١.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ الْأَمْرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ»^٢.

الْعَدْلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^٣.

الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»^٤.

الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ:

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، ثُمَّ أَتَى بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ: «أَكُلْ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَهُ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمْ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ دَا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ، فَارْبُؤْ بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»^٥.

١ - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب دَمِّ الْعَالِمِ عَلَى مُدَاخَلَةِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ، حديث رقم: ١١١٠

٢ - رواه تمام في فوائده - حديث رقم: ١٥١٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب دَمِّ الْعَالِمِ عَلَى مُدَاخَلَةِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ، حديث رقم: ١١٠٨

٣ - سورة المائدة: الآية / ٨

٤ - رواه أبو داود - كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ فِي الْقِسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٢١٣٣، والدارمي - وَمِنْ كِتَابِ النِّكَاحِ، بَابُ فِي الْعَدْلِ بَيْنَ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٢٢٥٢، بسند صحيح

٥ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْهَيَاتِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهَبَةِ، حديث رقم: ١٦٢٣

وعنه رضي الله عنه قال: سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي، فقالت: لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي وأنا غلام، فأتى بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمه بنت راحة سألتني بعض الموهبة لهذا، قال: «ألك ولدٌ سواه؟»، قال: نعم، قال: فأراه، قال: «لا تشهدني على جورٍ» وقال أبو حريز عن الشعبي، «لا أشهد على جورٍ»^١.

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم»^٢.

خطر الظلم:

حد الظلم:

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشرع: هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل.

وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.

حكم الظلم:

الظلم حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

١ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جورٍ إذا شهد، حديث رقم: ٢٦٥٠، ومسلم - كتاب

الهيئات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم: ١٦٣٢

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٩٣٥٣، وأبو داود - كتاب البيوع، أبواب الإجارة، باب في الرجل يفضل بعض ولده في

التخل، حديث رقم: ٣٥٤٤، والنسائي - ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لحبر الثعمان بن بشير في التخل، كتاب التخل،

حديث رقم: ٣٦٨٧، والبخاري - حديث رقم: ٣٢٨٤، بسند صحيح ورواه البخاري تعليقا

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ «يَا عِبَادِي إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ عَلَى أَنْفَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٢

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٠

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث: ٢٣٣٠، ومُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٣

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِكُ لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.^١

حُكْمُ مُجَالَسَةِ الظَّالِمَةِ:

مُجَالَسَةُ الظَّالِمِ مُحَرَّمَةٌ بِنَصِّ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.^٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.^٣

مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الظُّلْمِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَمْ رَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ: «تَحْجِزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».^٤

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٦

٢ - سورة الأنعام: الآية/ ٦٨

٣ - سورة هود: الآية/ ١١٣

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه، حديث رقم: ٦٥٦٩

من صور الظلم:

الشرك بالله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَئِنَّا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ. إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾^٣.

ظلم العبد لغيره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^٤.

١ - سورة لقمان: الآية/ ١٣

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر، حديث رقم: ٣٢٦١

٣ - سورة هود: الآية/ ١٠١، ١٠٢

٤ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البرِّ والصَّلةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨١

ظَلَمُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَئِنَّا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ. إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».^١

عَاقِبَةُ الظُّلْمِ:

عِقَابُ الظُّلْمِ فِي الدُّنْيَا:

الظالم يتقلب في سخط الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.^٣

وإخبار الله تعالى عن نفسه أنه: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يتضمن أمرين: الأول: أن الله تعالى لا يحب من اتصف بالظلم، وهو من ظلم غيره حقاً له، أو وضع شيئاً في غير موضعه، ويتضمن نفي جل ثناؤه عن نفسه أن يظلم أحداً من عباده.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ اسْتِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ وَإِثْمٌ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَابُ مَا جَاءَ

فِي الْمُتَأَوَّلِينَ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٩٣٧

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٤٠

٣ - سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَةُ / ٤٠

تعجيل العقاب للظالم في الدنيا مع ما ينتظره في الآخرة:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أُخْرَى أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ»^١.

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ مُسْتَجَابَةٌ:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^٣.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ

١ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - ٢٠٣٩٨، والبخاري في الأدب المفرد - بَابُ عُقُوبَةِ قَاطِعِ الرَّجْمِ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٦٧، والبخاري في مسنده - حديث رقم: ٣٦٧٨، وابن حبان في صحيحه - أَلْفَاظُ الْوَعِيدِ عَلَى أَشْيَاءَ، مرادها الزجر عن ارتكاب تلك الأشياء بأعيانها، ذَكَرَ تَعْجِيلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْعُقُوبَةَ لِلْقَاطِعِ رَحْمَةً فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٢٩١٢، وصححه الألباني

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتُرْدُ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، حديث رقم: ١٤٩٦، ومُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ١٩

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٥١٠، وأبو داود - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، حديث رقم: ١٥٣٦، والترمذي - أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ، حديث رقم: ١٩٥٠، وابن حبان - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمُسَافِرِ، ذَكَرَ الْبَيَّانَ بِأَنَّ دَعْوَةَ الْمُسَافِرِ لَا تُرَدُّ مَا دَامَ فِي سَفَرِهِ، حديث رقم: ٢٦٩٩

أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْرَمَ عَنْهَا، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُضُ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الْأُخْرَيَيْنِ. قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَفْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِبَاءً وَنَمْعَةً فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ (بْنُ عُمَيْرٍ) فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.^١

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ خَاصَمَتْهُ فِي بَعْضِ دَارِهِ فَقَالَ دَعُوهَا وَإِيَّاهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ طَوَّقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ فَرَأَيْتُهَا عَمِيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدْرَ تَقُولُ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ. فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بئرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَتْ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهَا.^٢

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتْ، حَدِيثٌ رَقْم: ٧٥٥

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَعَصْبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، حَدِيثٌ رَقْم: ١٦١٠

من العقاب على الظلم في الدنيا تحريم الطيبات.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^٢.

الظَّالِمُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٤.

ومن العقاب في الدنيا الهلاك العام.

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾^٥.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٤٦

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٦٠

٣ - سورة المائدة: الآية/ ٥١

٤ - سورة التوبة: الآية/ ١٠٩

٥ - سورة الكهف: الآية/ ٥٩

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾^١.

وقال تعالى: ﴿فَكَأَيُّنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِىَ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾^٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: دولة الكفر مع العدل تدوم، ودولة الإسلام مع الظلم لا تدوم.

عقاب الظلم يوم القيامة:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^٣.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الظُّلْمِ أَعْظَمُ قَالَ: «ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَيْسَتْ حَصَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ أَخَذَهَا إِلَّا طَوَّقَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الْأَرْضِ وَلَا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا»^٤.

القصاص من الظالم يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَوُذَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلَحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ»^٥.

١ - سورة الطلاق: الآية/ ٧، ٨

٢ - سورة الحج: الآية/ ٤٥

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَعَصَبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ١٦١٠

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٧٦٧، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٥١٦، بسند حسن

٥ - رواه مسلم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَذَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٢

الظلم ظلمات يوم القيامة:

من العقاب الذي رتبته الله تعالى على الظالم يوم القيامة أنه يتخبط في الظلمات، جزاءً وفاقاً؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^٢.

قال المهلب: هذه الظلمات لا نعرف كيف هي، إن كانت من عمى القلب أو هي ظلمات على البصر، والذي يدل عليه القرآن أنها ظلمات على البصر حتى لا يهتدي سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٌ﴾ [الحديد: ١٣]، فدلّت الآية أنهم حين مُنِعُوا النور بقوا في ظلمة غشيت أبصارهم كما كانت أبصارهم في الدنيا عليها غشاوة من الكفر، وقال تعالى في المؤمنين: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، فأثاب الله المؤمنين بلزوم نور الإيمان لهم، ولذذهم بالنظر إليه، وقوّى به أبصارهم، وعاقب الكفار والمنافقين بأن أظلم عليهم، ومنعهم لذة النظر، هذا حديثٌ مجمل بينه دليل القرآن^٣.

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٨

٢ - رواه البخاري - كتاب المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث رقم: ٢٤٤٧، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٩

٣ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٧٦ / ٦)

قلت ولا مانع أن يجمع الله تعالى بين عمى الأبصار وعمى القلوب يوم القيامة؛ كما تعاملوا في الدنيا عن حقوق العباد، واستباحوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ»، فلكل واحد من الظلمة ظلمات يوم القيامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنَ الظُّلْمِ مَطْلُ الْعَنِيِّ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ»^١.

الظُّلْمُ مِنْ أَسْبَابِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^٣.

لا تظلمن إذا كنت مقتدرًا ***** فالظلم عقباه تفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ***** يدعو عليك وعين الله لم تنم

١ - رواه مسلم - كتاب البيوع، باب تحريم مطل العني وصحة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على ملي، حديث رقم:

١٥٦٤

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٢٩

٣ - سورة الحشر: الآية/ ١٦، ١٧

الولاء والبراء

من أسباب محبة الله تعالى للعباد، الحب في الله والبغض في الله، وموالة أولياء الله ومعاداة أعداء الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

فإن قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾، علة محبة الله تعالى لهم؛ فإنهم لما اتصفوا بتلك الصفات أحبهم الله تعالى، وهذا هو الولاء والبراء.

معنى الولاء والبراء:

الولاء في اللغة: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيؤاليه أو يحاييه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه.^٢

وفي الشرع: عبارة عن محبة المؤمنين ومؤازرتهم، والدفاع عنهم والاهتمام لشأنهم؛ وبغض الكافرين والتبرؤ منهم ومن اعتقاداتهم.

والولاء يدور معناه حول: المحبة والنصرة والمتابعة.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٥٤

٢ - لسان العرب (١٥: ٤٠٩)

منزلة الولاء والبراء:

الولاء والبراء من أسباب محبة الله تعالى للعبد:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

الولاء والبراء أوثق عرى الإسلام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ»، قُلْتُ: لَبَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^٢.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^٣.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا» قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ» قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^٤.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٥٤

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٥٣١، وابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٢١، بسند صحيح

٣ - رواه ابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٠٤٢٠، بسند منقطع

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨٥٢٤، بسند حسن

الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».^١

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ، قَالَ: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ»، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ». قَالَ: فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ».^٣

الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ مِنْ عَقِيدَةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَمَرْنَا بِالتَّاسِي بِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.^٤

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦١٧٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٦٤١

٢ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٥١٢٦، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ - حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٨٠٤١، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦١٧١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٦٣٩

٤ - سورة التغابن: الآية/ ٤

لوازم الولاء والبراء:

عدم اتخاذ الكفار بطناءً من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطْنَاءَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ.....﴾^١.

مِنْ أَظْهَرَ أَمَارَاتِ الْخِذْلَانِ، وَمِنْ أَوْضَحِ دَلَائِلِ الْخِيبةِ وَالْخُسْرَانِ: اتِّخَاذُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بَطْنَاءَ مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاطْلَاعُهُمْ عَلَى أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِشَارَتُهُمْ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَالصَّدُورُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ أَرَائِهِمْ، وَالْعَمَلُ بِتَوْصِيَاتِهِمْ، وَالسَّيْرُ وَفَقَّ تَعْلِيمَاتِهِمْ، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ، بَلْ امْتَدَّ ذَلِكَ حَتَّى طَالَ مَنَاهَجُ التَّعْلِيمِ، وَالْمَقَرَّرَاتِ الدِّينِيَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَنَا رِشْدَنَا وَأَنْ يَقِينَا شَرَّ أَنْفُسِنَا.

عدم مناصرة الكفار على المؤمنين:

وَمِنْ لَوَازِمِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ: عَدَمُ خِذْلَانِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَدَمُ مَنَاصِرَةِ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ وَحُرُوبٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فَإِنْ مَنَاصِرَةُ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِمَّا يَقْدَحُ فِي تَوْحِيدِ الْعَبْدِ، وَمِنْ أَسْبَابِ فَقْدِ الْإِيمَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^٢.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^٣.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١١٨

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٨١

٣ - سورة التوبة: الآية/ ٦٧

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: «انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْنَا: هَلْ عَهْدٌ إِلَيْكَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِي هَذَا - فَأَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ قِرَابِ سَيْفِهِ فَإِذَا فِيهِ: الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، مَنْ أَخَذَ حَدَثًا فَعَلَى نَفْسِهِ، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».^١

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشَدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَتُسَرِّبُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ» وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ إِسْحَاقَ: الْقَوَدَ وَالتَّكَافُؤَ.^٢

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيَرُدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ».^٣

عدم التشبه بهم:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا السَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى».^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٩٣، وأبو داود - كتاب الدييات، باب أَيْقَاذُ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ، حديث رقم: ٤٥٣٠، والنسائي - كتاب الْقَسَامَةِ، باب الْقَوْدِ بَيْنَ الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِكِ فِي النَّفْسِ، حديث رقم: ٤٧٣٤، بسند صحيح
٢ - رواه أبو داود - كتاب الْجِهَادِ، باب فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ، حديث رقم: ٢٧٥١، بسند صحيح
٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الدِّيَاتِ، باب الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، حديث رقم: ٢٦٨٣، بسند صحيح
٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب اللِّبَاسِ، باب تَقْلِيمِ الْأَطْفَارِ، حديث رقم: ٥٨٩٢، ومُسْلِمٌ - كتاب الطَّهَارَةِ، باب خِصَالِ الْفِطْرَةِ، حديث رقم: ٢٥٩

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ».^١

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «مَنْ بَنَى بِلَادَ الْأَعَاجِمِ وَصَنَعَ نِزْوَرَهُمْ وَمَهْرَجَاهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٣

عدم الاحتفال بأعيادهم:

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمْ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى».^٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.^٥

وعن الضحاك أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾. أعياد المشركين.

١ - رواه أبو داود- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ فِي النَّعْلِ، حديث رقم: ٦٥٢، وابن حبان- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَرْضِ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ، ذكر الأمر بالصلاة في الخفاف والنعال إذا أهل الكتاب لا يفعلونه، حديث رقم: ٢١٨٦، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٧١٦٥، بسند صحيح

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٥١١٥، وأبو داود- كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ فِي لُبْسِ الشُّهْرَةِ، حديث رقم: ٤٠٣١، والبخاري- حديث رقم: ٢٩٦٦، بسند صحيح

٣ - رواه البيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ الْجُزْيَةِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي كَنَائِسِهِمْ وَتَشَبُّهِهِمْ يَوْمَ نِزْوَرِهِمْ وَمَهْرَجَاهُمْ، حديث رقم: ١٨٨٦٣،

٤ - رواه النسائي- كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، حديث رقم: ١٥٥٦، بسند صحيح

٥ - سورة الفرقان: الآية/ ٧٢

وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يجوز شهود أعياد النصارى واليهود لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر.

أثر مولاة أعداء الله ومعاودة أولياء الله:

من آثار مولاة أعداء الله ومعاودة أولياء الله تعريض النفس لمقت الله تعالى واستحقاق العذاب؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا إِلَهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^١.

من تولى قومًا كان منهم وحشر يوم القيامة معهم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٢.
وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^٣.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "مَنْ بَنَى بِلَادِ الْأَعَاجِمِ وَصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ وَمَهْرَجَاتَهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^٤.

١ - سورة النساء: الآية/ ١٤٤

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٥١

٣ - تقدم تخريجه

٤ - تقدم تخريجه

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب سخط الله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُخَذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^١.

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب ضياع الإيمان:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢.

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين تقطع صلة العبد بالله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُخَذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^٣.

موالاة الكفار من أخصِّ صفات المنافقين:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^٤.

وقد حذر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل الطاعات الواجبات لله تعالى إذا كان لها صلة بأعياد المشركين؛ فعن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٢٨

٢ - سورة المجادلة: الآية/ ٢٢

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ٢٨

٤ - سورة النساء: الآية / ١٣٨ ، ١٣٩

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ». قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ». قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».^١

فوائد:

الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ لَا يَنَافِي الْعَدْلُ:

لا تلازم أبداً بين تحقيق الولاء والبراء والظلم؛ فإن الولاء والبراء لا ينافي العدل؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.^٢

أي: لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا في تعاملكم معهم، اعدلوا في كل أحوالكم ومع أعدائكم فذلك يجعلكم أقرب للتقوى.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.^٣

الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ لَا يَنَافِي الْبِرُّ:

ومما يجب الانتباه له أن الولاء لأهل الإيمان والبراء من الكفر والكفار لا ينفي البر والإحسان، فإن البر يكون للناس جميعاً والإحسان يكون للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، بخلاف الحب فإنه لا ينبغي إلا للمؤمنين؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

١ - رواه أبو داود - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنُّدُورِ، بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، حديث رقم: ٣٣١٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٣٤١، والبيهقي في السنن الصغرى - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنُّدُورِ، بَابُ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَنْحَرَ بَعِيرٍ مَكَّةَ لِيَتَصَدَّقَ، حديث رقم: ٣٢٢٣، بسند صحيح

٢ - سورة المائدة: الآية / ٨

٣ - سورة المائدة: الآية / ٢

مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^٢.

والتفريق بين البرِّ والحبِّ أمرٌ مهمٌّ وهي مسألة ضلت فيها أفهام، وزلت فيها أقدام، واتخذها فريق من أهل الضلال ذريعةً لطمس معالم الشريعة، وتغيير أحكام الدين، والتلبيس على العوام دينهم، فزعموا أن البر هو الحب، وأنه لا ولاء ولا براء، وصرحوا بمحبة أعداء الإسلام، ومعاداة من نادى بوجوب البراءة من الكفر والكفار.

١ - سورة الممتحنة: الآية/ ٨، ٩

٢ - سورة لقمان: الآية/ ١٥

الْصَّدَقَةُ

من أسباب محبة الله تعالى للعباد الصدقة إذا أراد بها صاحبه وجه الله تعالى؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؛ أَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدِلُ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتَلَوُّ آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّتِي، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزِمُوهُ، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ، حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ الشَّيْخُ الزَّانِي وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ»^١.

فَضْلُ الصَّدَقَةِ:

مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^٢.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذي - أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥٦٨، والنسائي - كِتَابُ الزَّكَاةِ، ثَوَابُ مَنْ يُعْطَى، حديث رقم: ٢٥٧٠، والحاكم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذَكَرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الثَّبَاتَ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ اهْزَامِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ، حديث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - كِتَابُ الزَّكَاةِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ ذِكْرِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُخْفِي بِالْصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٢٤٥٦، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ بِالْيَمِينِ، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١

مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ كَانَ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ يَزِيدُ: فَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لَا يَتَصَدَّقُ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعَكَّةً وَلَوْ بَصَلَةً.^١

الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».^٢

قال النووي: مَعْنَاهُ الصَّدَقَةُ حُجَّةٌ عَلَى إِيْمَانٍ فَاعْلَمَهَا فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَمْتَنِعُ مِنْهَا لِكَوْنِهِ لَا يَعْتَقِدُهَا فَمَنْ تَصَدَّقَ اسْتَدِلَّ بِصَدَقَتِهِ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِ.^٣

الصَّدَقَةُ وَقَايَةُ لِمُصَاحِبِهَا مِنْ صُنُوفِ الْبَلَاءِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تَدْيِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٣٣٣، وابن حبان - النوع الثاني، ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذَكَرَ الْبَيَّانُ بِأَنَّ ظِلَّ كُلِّ امْرِئٍ فِي الْقِيَامَةِ يَكُونُ صَدَقَتُهُ، حديث رقم: ٢٢٩، وابن خزيمة - كِتَابُ الرِّكَاعِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ إِطْلَالِ الصَّدَقَةِ صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْفَرَاغِ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، حديث رقم: ٢٤٣١، والحاكم - كِتَابُ الرِّكَاعِ، حديث رقم: ١٥١٧، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٢٢٣

٣ - شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠١)

وَفَرَّتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُو أَنْزَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ»^١.

قال المهلب: فيه أن الله تعالى يُنمي مال المتصدق، ويستره ببركة نفقته بالنماء في ماله، ألا ترى ضربه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المثل بالجُبَّتين، فإن المنفق يستره الله بنفقته من قرنه إلى قدمه، وجميع عوراته بالفعل في الدنيا وبالأجر في الآخرة، فماله لا يشتد عليه، وأما البخيل فيظن أن ستره في إمساك ماله، فماله لا يمتد عليه فلا يستر من عوراته شيئاً حتى تبدو للناس، فيبقى منكشفاً كمن يلبس جبة تبلغ إلى ثدييه، ولا تجاوز قلبه الذي يأمره بالإمساك، فهو يفتضح في الدنيا، ويؤزر في الآخرة.^٢

والصدقة تستر خطايا المتصدق كما يستر الثوب الذي يجز على الأرض أثر مشي لابس به مرور الذيل عليه، فضرب المثل بدرع سابعة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه.^٣

صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى:

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^٤.

الله تبارك وتعالى يبارك في الصدقات ويربها لصاحبها:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^٥.

١ - رواه البخاري-كتاب الزكاة، باب مَثَلِ الْمُتَصَدِّقِ وَالْبَخِيلِ، حديث رقم: ١٤٤٣، ومسلم-كتاب الزكاة، باب مَثَلِ الْمُتَصَدِّقِ وَالْبَخِيلِ، حديث رقم: ١٠٢١

٢ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤١ / ٣)

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٨ / ٣)

٤ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠١٨، والأوسط - حديث رقم: ٩٤٣، بسند صحيح

٥ - سورة البقرة: الآية / ٢٧٦

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^١.

ثُبُوتُ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَالْعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَالْعَلَّ الْعَنِيَّ يَغْتَبِرُ فَيُنْفِقُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَالْعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرَقَتِهِ»^٢.

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ

١ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرَبِّي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، حديث رقم: ١٤١٠، ومسلم - كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم: ١٠١٤

٢ - رواه البخاري - باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، باب: إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، حديث رقم: ١٤٢١، ومسلم - كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، حديث رقم: ١٠٢٢

الصَّلَاةَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^١.

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا فِدَامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^٢.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^٣.

١ - رواه البخاري - كتابُ الصَّوْمِ، بابُ: الرِّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ، حديث رقم: ١٨٩٧، ومسلم - كتابُ الزَّكَاةِ، بابُ مَنْ جَمَعَ

الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، حديث رقم: ١٠٢٧

٢ - رواه البخاري - كتابُ الزَّكَاةِ، بابُ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، حديث رقم: ١٤١٧، ومسلم - كتابُ الزَّكَاةِ، بابُ الْحَتِّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَأَتَمَّ حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: ١٠١٦

٣ - رواه البخاري - كتابُ الزَّكَاةِ، بابُ الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَالصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٤٦٢، ومسلم - كتابُ الْإِيمَانِ، بابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ وَبَيَانِ إِطْلَاقِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ، حديث رقم: ١٣٢

مَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْصَى أَحْصَى عَلَيْهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ»^٢.

وَعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْفِقِي، وَلَا تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُوعِي، فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكَ»^٣.

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^٤.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ يَحْفَظُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ»، قَالَ: لَيْسَ أَسْأَلُ عَنْ ذِهِ، إِنَّمَا أَسْأَلُ عَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ،

١ - سورة سبأ: الآية / ٣٩

٢ - رواه البخاري - كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، حديث رقم: ٤٦٨٤، ومسلم - كتاب الزكاة، باب الحث على التَّقَةِ وَتَبَشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخُلْفِ، حديث رقم: ٩٩٣

٣ - رواه البخاري - كتاب الهبة وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيزِ عَلَيْهَا، باب هبة المرأة لغير زوجها وَعَتَقَهَا إِذَا كَانَ لَهَا زَوْجٌ فَهُوَ جَائِزٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ سَفِيهَةً فَإِذَا كَانَتْ سَفِيهَةً لَمْ يَجُزْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، حديث رقم: ٢٥٩١، ومسلم -

كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق، وَكَرَاهَةِ الْإِحْصَاءِ، حديث رقم: ١٠٢٩

٤ - سورة البقرة: الآية / ٢٧١

قَالَ: وَإِنَّ دُونَ ذَلِكَ بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: فَيُفْتَحُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا يُعْلَقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.^١

الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَدْوَاءِ:

عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَادَّأُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ».^٣

أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا:

الصدقة مما يجب:

أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا، أَنْ يَتَصَدَّقَ الْمُتَصَدِّقُ مِمَّا يَجِبُ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.^٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ يَبْرَحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

١ - رواه البخاري - كتابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَفَضْلِهَا وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ مُوقَّتًا وَقَتُّهُ عَلَيْهِمْ، بَابُ: الصَّلَاةُ كَقَارَةٍ، حَدِيثٌ رَقْمُ: ٥٢٥، ومسلم - كتابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، حَدِيثٌ رَقْمُ: ١٤٤

٢ - رواه أحمد - حديثٌ رَقْمُ: ١٨٠٣١، والترمذي - أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مِثْلُ الدُّنْيَا مِثْلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حَدِيثٌ رَقْمُ: ٢٣٢٥، بسند صحيح

٣ - رواه الطبراني في الكبير - حديثٌ رَقْمُ: ١٠١٩٦، والأوسط - حديثٌ رَقْمُ: ١٩٦٣، والدعاء - حديثٌ رَقْمُ: ٤٨، بسند ضعيف

٤ - سورة آل عمران: الآية/ ٩٢

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَى بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بَرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ^١.

الصدقة من الحلال الطيب:

وَأَنْ يَتَصَدَّقَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلَا يَنْفَقَ مِنَ الرَّدَى الَّذِي تَعَاثَرَتْ فِيهِ نَفْسُهُ، وَلَا يَقْبَلَهُ إِلَّا هُوَ إِلَّا مُضْطَرًا عَلَى مَضْضٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^٢.

الصدقة حال الصحة وطول الأمل:

وَأَنْ يَتَصَدَّقَ حَالِ صِحَّتِهِ وَعَافِيَتِهِ، وَقَدْ امْتَدَّتْ فِي عَيْنِيهِ الْأَمَالُ الطَّوَالُ، وَهُوَ يَسْعَى فِي تَحْقِيقِهَا سَعْيًا حَثِيثًا، فَلَا يَسْتَوِي مَنْ هَذَا حَالُهُ وَمَنْ كُنَزَ الْمَالَ طَوِيلَ عَمْرِهِ، وَبَخَلَ بِهِ فِي نَشَاطِهِ

١ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، بابُ الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَجْرَانِ أَجْرُ الْقُرَابَةِ وَالصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٤٦١، ومسلم - كتابُ الزَّكَاةِ، بابُ فَضْلِ التَّقْوَةِ، وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ، وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، حديث رقم: ٩٩٨

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٦٧

وصحته، حتى إذا داهمه الموت، قال وقد غلبه اليأس: لفلان كذا ولفلان كذا، وأنى أوان الصدقة؟ هلا كان هذا قبل أن يداهمك الموت، ويحول بينك وبين ما جمعت؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم؟ فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان»^١.

جُهدُ المُقِلِّ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: «جُهدُ المُقِلِّ، وأبداً بمن تقول»^٢.

١ - رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح لقوله: «وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت» الآية، حديث رقم: ١٤١٩، ومسلم- كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حديث رقم: ١٠٣٢

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٧٠٢، وأبو داود- كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث رقم: ١٦٧٧، وابن خزيمة- كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريعة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فضل صدقة المُقِلِّ إذا كان فضلاً عما يقول، لا إذا تصدق على الأباغيد وترك من يقول جِئاعاً غزاةً إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببدء من يقول، حديث رقم: ٢٤٤٤، وابن حبان- النوع الثاني، ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن من أفضل الصدقة إخراج المُقِلِّ بعض ما عنده، حديث رقم: ٢٣٢، بسند صحيح

قِيَامُ اللَّيْلِ

مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ: قِيَامُ اللَّيْلِ؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؛ أَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدِلُ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُوا آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزِمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ، حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ الشَّيْخُ الزَّانِي وَالْفَقِيرُ الْمُحْتَالُ وَالْعَنِي الظَّلُومُ»^١.

فضل قيام الليل:

قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^٢.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذي - أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥٦٨، والنسائي - كِتَابُ الزَّكَاةِ، ثَوَابُ مَنْ يُعْطَى، حديث رقم: ٢٥٧٠، والحاكم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني أَلْفَاظُ الْوَعْدِ الَّتِي مَرَادُهَا الْأُمُورُ بِاسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الثَّبَاتَ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ اهْزَامِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ، حديث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - كِتَابُ الزَّكَاةِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ ذِكْرِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُخْفِي بِالصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٢٤٥٦، بسند صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٧٨٤، والترمذي - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٨٥، وابن ماجه - أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ حديث رقم: ٣٢٥١، بسند صحيح

قيام الليل يرقى بصاحبه إلى أعلى درجات الجنة:

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^١.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ الْعَابِرُ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِيَتَفَاضِلَ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^٢.

قيام الليل شرف المؤمن:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ حَيٌّ بِه، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^٣.

قيام الليل دأب الصالحين:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^٤.

١ - رواه الترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في قول المعروف، حديث رقم:

١٩٨٤، والبخاري في مسنده - حديث رقم: ٧٠٢، وأبو يعلى في مسنده - حديث رقم: ٤٢٨، بسند حسن

٢ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة، حديث رقم: ٣٢٥٦، ومسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل العرف كما يرى الكوكب في السماء، حديث رقم: ٢٨٣١

٣ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٢٧٨، والحاكم في المستدرک - كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٩٢١، والبيهقي في شعب الإيمان - باب في الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ١٠٥٤١، بسند حسن

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلُكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ»^١.

وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَرَرْتُ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَأَنْتَ تُخَافُتُ بِقِرَاءَتِكَ» قَالَ: إِنِّي أُسْمِعُ مَنْ أُنَاجِي. قَالَ: «وَمَرَرْتُ بِكَ يَا عُمَرُ وَأَنْتَ تَجْهَرُ بِقِرَاءَتِكَ» قَالَ: اطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَأَوْقِظُ الْوَسْطَانَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْفِضْ شَيْئًا» قَالَ: «وَمَرَرْتُ بِكَ يَا بِلَالُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ» قَالَ: إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْلِطُ الطَّيِّبَ بِالطَّيِّبِ، فَقَالَ: «اقْرَأِ السُّورَةَ عَلَى نَحْوِهَا»^٢.

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّيْمِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبِي: «لَأَعْلِيَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى الْمَقَامِ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ تَخَلَّصْتُ إِلَى الْمَقَامِ حَتَّى قُمْتُ فِيهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا رَجُلٌ وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَبَدَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَقَرَأَ حَتَّى خَتَمَ الْقُرْآنَ، فَرَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ، فَلَا أَدْرِي أَصَلَّى قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا أَمْ لَا»^٣.

٤ - سورة الذاريات: الآية / ١٥ - ١٨

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ، والترمذي - أبواب الدعوات عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٥٤٩، وابن خزيمة - كتاب الصلاة «الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطْنَا فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ»، بَابُ التَّخْرِيسِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ إِذْ هُوَ دَأْبُ الصَّالِحِينَ وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، حديث رقم: ١١٣٥، والحاكم - مِنْ كِتَابِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، حديث رقم: ١١٥٦، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٤٦٦، بسند حسن

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٦٥، وسعيد بن منصور في السنن - تَفْسِيرُ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ١٣٢٥، وعبد الرزاق في مصنفه - الأوَّلُ مِنْ كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ قِرَاءَةِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ٤٣٤٠، بسند ضعيف

٣ - رواه أبو نعيم في الحلية (١: ٥٧)

قيام الليل وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ بِمِثْلِ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا أَغْرَبَ، وَكُنْتُ أَنَا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُئْرِ، وَإِذَا هَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبُئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا».^٢

قيام الليل أفضل الصلاة، بعد الصلاة المكتوبة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصَّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ».^٣

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الصَّيَامِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَصَرَّرَ بِهِ، أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا، أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ وَبَيَانَ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِطْطَارِ يَوْمٍ، حديث رقم: ١١٥٩

٢ - رواه البخاري - بَابُ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، بَابُ فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١١٢١، ومسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم: ٢٤٧٩

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الصَّيَامِ، بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، حديث رقم: ١١٦٣

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَآخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^١.

قِيَامُ اللَّيْلِ يَجْعَلُ الْعَبْدَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»^٢.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ»^٣.

قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ

١ - رواه البخاري - كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم: ٧٤٤٢،

ومسلم - بَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث رقم: ٧٦٩

٢ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٤٩٩، بسند صحيح

٣ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٤٩٩، بسند حسن

بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنْأَخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^١.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٠١٦، الترمذي - أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٢٦١٦، وقال هذا حديث حسن صحيح

وسائلُ معينةٌ على قيامِ الليل:

أن يسأل المسلم ربه سبحانه وتعالى الإعانة على قيام الليل:

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنِي فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».^١

فإنه لا يوفق لقيام الليل إلا من وفقه الله تعالى، ولا يقوى على قيام الليل إلا من أعانه الله تعالى، فإن قيام الليل لا يحتاج إلى قوة بدنية إنما يحتاج إلى توفيق الله تعالى، وإيمانٍ يحمل صاحبه على ترك شهواته، والتخلي عن ملذاته، واستشعار قربهِ، والتلذذ بمناجاة الله تعالى، ليشكو له بثته، وحزنه، ويسأله من فضله وإحسانه.

أن يستحضر فضل قيام الليل:

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ».^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢١١٩، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٢٢، والترمذي - حديث رقم: ، والنسائي - كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، حديث رقم: ١٣٠٣، وابن خزيمة في صحيحه - حديث رقم: ٧٥١، وابن حبان - كتاب الصلاة، فصل في القنوت، ذكر الاستحباب للمزمع أن يستعين بالله جلّ وعلا على ذكره وشكره وحسن عبادته غُفِيَتِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، حديث رقم: ٢٠٢٠، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١١٠، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، باب فضل قيام الليل، حديث رقم: ١١٢١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٧٩

وقد ذكرت فيما تقدم جملة من فضائل قيام الليل التي لا ينبغي لمسلم أن يسمعها إلا ويبادر إلى تحقيقها والفوز بها.

العلم بأن قيام الليل شرف للمؤمن:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ حَيٌّ بِهٖ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^١.

والعلة في كون قيام الليل شرف المؤمن أن المؤمن يقوم بين يدي الله تعالى يقرأ كلامه، ويناجيه، ولا يوفق لذلك إلا من اصطفاه الله تعالى، فكم من الناس محروم من قيام الليل وهو لا يشعر، لا يشعر أنه لم يُؤذن له بالمشول بين يدي مولاه وقد أذن لغيره، وقد استبعد من الخدمة وقرب غيره، فياليت شعري بأي خسران باء، وبأي خيبة رجع! فاللهم بعزتك وذلنا، وبغناك عنا وفقرنا إليك، وبقدرتك علينا وضعفنا، استعملنا ولا تستبدلنا، وارحم ضعفنا، وتقبل منا القليل، ولا تردنا عن بابك خائبين.

ترك الذنوب والمعاصي:

فإن الذنوب والمعاصي من أهم أسباب الخذلان، ومن أهم أسباب التشييط عن طاعة الله تعالى؛ قيل لعبد الله بن المبارك: مالنا لا نستطيع قيام الليل؟ قال: أقعدتكم الذنوب والمعاصي.

الذنوب والمعاصي من أسباب استئلال الشيطان لأصحاب الذنوب والمعاصي؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٢٧٨، والحاكم في المستدرک - کتاب الرِّقَاقِ، حديث رقم: ٧٩٢١، والبيهقي في شعب الإيمان - باب في الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ١٠٥٤١، بسند حسن

كَسَبُوا» [آل عمران: ١٥٥]؛ أي: ذكّرهم بخطايا سلفت منهم، وهكذا يفعل مع كل عاصٍ، حتى يقنطه من رحمة الله تعالى، ويشعره أنه لا خير فيه، ولا رجاء منه، وأنه مهما عمل فلن يقبل الله تعالى منه، ولن يغفر له ذنبه، فيقطع رجاءه من ربه، ويغلب عليه اليأس والقنوط من رحمة الله فيترك الطاعة، وربما بالغ في معاقرة الشهوات، والإسراف في الذنوب والمعاصي.

فالواجب على المسلم أن يبادر بالتوبة لله تعالى، مع حسن ظنه بمولاه؛ لينجو من مكائد الشيطان؛ فإن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، والله تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عز وجل: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْقَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ»^١.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٦٣٠٨، ومسلم- كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ: فِي الْخُصِّ عَلَى التَّوْبَةِ

وَالْفَرَحُ بِهَا حَدِيث رقم: ٢٦٧٥

مَتَابَعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد، متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثره في كل حركة وسنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

آثار تحقيق متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب محبة الله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.....﴾ الآية^٢.
قَالَ عَبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ قَوْلِهِ: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَالَ: نَعَمْ إِنَّ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ، فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ لِقَوْلِهِمْ تَصَدِيقًا مِنْ عَمَلٍ فَقَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قَالَ: اتَّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَدِيقًا لِقَوْلِهِمْ^٣.

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب رحمة الله تعالى:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.....﴾ الآية^٤.

١ - سورة ال عمران: الآية/ ٣١

٢ - سورة ال عمران: الآية/ ٣١

٣ - رواه ابن أبي حاتم - رقم: ٣٤٠٢

٤ - سورة الأعراف: الآية/ ١٥٦، ١٥٧

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب المغفرة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب هداية الله للعباد:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^٢.

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب الشرب من حوضه يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ حَيْلٌ غُرَّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ حَيْلٍ دُهِمَ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ حَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»^٣.

١ - سورة ال عمران: الآية / ٣١

٢ - سورة الأعراف: الآية / ١٥٨

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٩

من صور متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

من المتابعة التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قول وفعل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^١.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ: الْأُسْوَةُ فِي الرَّسُولِ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ وَالِاتِّبَاعُ لِسُنَّتِهِ وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ^٢.

وقال النووي: قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: سنة صالحة، أن تنصروه وتوازره، ولا تتخلفوا عنه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو، إذ كسرت ربايعته وجرح، وقتل عمه حمزة، وأودى بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضا كذلك، واستنوا بسنته^٣.

وقال سفيان الثوري: «إِنْ اسْتَطَعْتَ، أَلَّا تَحُكَّ رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثَرٍ فافعل»^٤.

من المتابعة العمل بسنته صلى الله عليه وسلم:

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدُكُمْ مُتَكِبًا عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»^٥.

١ - سورة الأحزاب: الآية: ٢١

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٩ / ٢)

٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب (١٧ / ١٨٥)

٤ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١ / ١٤٢)

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٨٧٦، وأبو داود - كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، حديث رقم: ٤٦٠٥، والترمذي - أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حديث

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^١.

من المتابعة تحكيمه صلى الله عليه وسلم والرضي بحكمه:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢.

لا يتحقق إيمانٌ لعبد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يشتجر فيه مع غيره، ويرضى بحكمه صلى الله عليه وسلم، ولا يجد في نفسه حرجاً من حكمه صلى الله عليه وسلم، ويسلم لحكمه تسليماً؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاحِ الْحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّحْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ بِمُرٍّ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاحْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: (اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ). فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: (اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْسِنِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجُدْرِ). فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^٣.

والمتابعة هي الشرط الثاني من شروط قبول الأعمال بعد الإخلاص.

رقم: ٢٦٦٣، وابن ماجه - المقدمة، بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّغْلِيظُ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ، حديث

رقم: ١٣، بسند صحيح

١ - رواه الدارمي - المقدمة، بَابُ فِي كَرَاهِيَةِ اخْذِ الرَّأْيِ، حديث رقم: ٢١١، وزهير بن حرب في كتاب العلم - حديث رقم:

٥٤، والمروزي في السنة - حديث رقم: ٧٨، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٧٧٠، بسند صحيح

٢ - سورة النساء: الآية/ ٦٥

٣ - رواه البخاري - كتاب المساقاة، بَاب: سَكْرِ الْأَمْثَارِ، حديث رقم: ٢٣٦٠، ومسلم - كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ وَجُوبِ

اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٣٥٧

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله:

شَرُطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا ***** فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِحْلَاصٌ مَعَا
لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ ***** مُوَافِقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^١.

صور من متابعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ
مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي
أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ
أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَحْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ
سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^٢.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ، وَاسْمُهَا حَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ
عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بَدَّةُ الْهَيْعَةِ، فَسَأَلَتْهَا عَائِشَةُ: مَا شَأْنُكِ؟، فَقَالَتْ: زَوْجِي يَفُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ
النَّهَارَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ عَائِشَةَ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١ - سورة الأحزاب: الآية/ ٢١

٢ - رواه البخاري- كتابُ النِّكَاحِ، بابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الآية
[النساء: ٣]، حديث رقم: ٥٠٦٣

وَسَلَّمَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ، فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةِ حَسَنَةٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ».^١

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».^٢

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَقَالَ سَعِيدٌ: فَلَمَّا حَشَيْتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: حَشَيْتُ الصُّبْحَ، فَنَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ».^٣

وَعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، قَالَ: فَصَلَّى لَنَا الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعَهُ، حَتَّى جَاءَ رَحْلَهُ، وَجَلَسَ وَجَلَسْنَا مَعَهُ، فَحَانَتْ مِنْهُ الْتِفَاتُهُ نَحْوَ حَيْثُ صَلَّى، فَرَأَى نَاسًا قِيَامًا، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» قُلْتُ: يُسَبِّحُونَ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُسَبِّحًا لَأَتَمَمْتُ صَلَاتِي، يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَحِبْتُ عُمَرَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، ثُمَّ صَحِبْتُ

١ - رواه ابن حبان في صحيحه - النوع السادس والستون، إخباره صلى الله عليه وسلم في البداية عن كيفية أشياء احتاج المسلمون إلى معرفتها، ذكُرَ الإِخْبَارُ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ هَذِهِ الْمُصْطَفَى بِرُكِّ الْإِنْزِعَاجِ عَمَّا أُبَيِّحُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُ بِإِعْضَائِهِ، حديث رقم: ٤٦٥٨، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٣١٩

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، حديث رقم: ١٥٩٧، ومسلم - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الطَّوَافِ، حديث رقم: ١٢٧٠

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْوُتْرِ، بَابُ الْوُتْرِ عَلَى الدَّائِيَّةِ، حديث رقم: ٩٩٩، ومسلم - بَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَوَازِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّائِيَّةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتُ، حديث رقم: ٧٠٠

عُثْمَانُ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رُكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].^١

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: طُفْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا كُنْتُ عِنْدَ الرُّكْنِ الَّذِي يَلِي الْبَابَ مِمَّا يَلِي الْحَجَرَ، أَخَذْتُ يَدَهُ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ: أَمَا طُفْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَانْقُذْ عَنْكَ فَإِنَّ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَاسْتَنَاحَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ بَيْنَ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ وَدَارِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، فَأَتَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَنْزِلُ، فَانْبَعَثَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ»، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، حَتَّى جَاءَتْ بِهِ مَوْضِعَ الْمَنْبَرِ، فَاسْتَنَاحَتْ بِهِ، ثُمَّ تَجَلَّجَلَتْ، وَلِنَاسٍ ثُمَّ عَرِيشٌ كَانُوا يَرُشُونَهُ وَيَعْمُرُونَهُ وَيَتَبَرَّدُونَ فِيهِ، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَوَى إِلَى الظِّلِّ، فَنَزَلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو أَيُّوبَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْزِلِي أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيْكَ، فَانْقُلْ رَحْلَكَ إِلَيْهِ، قَالَ «نَعَمْ»، فَذَهَبَ بِرَاحِلَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْزِلْ عَلَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ» وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ اثْنَا عَشَرَ لَيْلَةً حَتَّى بَنَى الْمَسْجِدَ.^٣

وَعَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ خَلْفٍ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا شَابٌّ مُتَأَرِّزٌ بِبُرْدَةٍ لِي مَلْحَاءٌ أَجْرُهَا، فَأَذَرَكَنِي رَجُلٌ فَعَمَزَنِي بِمِخْصَرَةٍ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَا لَوْ رَفَعْتَ ثَوْبَكَ كَانَ أَبْقَى وَأَنْقَى"، فَالْتَفَتُ، فَإِذَا هُوَ

١ - رواه مسلم - كتابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، حديث رقم: ٦٨٩

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٥٣، بسند صحيح

٣ - رواه سعيد بن منصور - كتابُ الْجِهَادِ، بَابُ جَامِعِ الشَّهَادَةِ، حديث رقم: ٢٩٧٨، والطبراني في الأوسط - حديث

رقم: ٣٥٤٤، بسند حسن

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ، قَالَ: "وَإِنْ كَانَتْ بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ". فَنَظَرْتُ إِلَى إِزَارِهِ فَإِذَا فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ، وَتَحْتَ الْعُضَلَةِ^١.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٠٨٧، وفي سنده ضعف

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ

من أسباب محبة الله تعالى التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^١.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^٢.

فضل تحقيق التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله من أسباب دخول الجنة:

قال الإمام مسلم: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ فَمَاذَا صَنَعْتَ قُلْتُ اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ حَدِيثُ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ. فَقَالَ وَمَا حَدَّثَكُمْ الشَّعْبِيُّ قُلْتُ حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْنٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَا زُفْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. فَقَالَ قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ. فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخِرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٥٩

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠٥، والترمذي - أَبَوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى

اللَّهِ، حديث رقم: ٢٣٤٤، وابن ماجه - كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ، حديث رقم: ٤١٦٤، بسند صحيح

وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ تَهَضَّ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَحَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ». فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. فَقَالَ «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. فَقَالَ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».^١

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلُ الْإِيمَانِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.^٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.^٣

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.^٤

قَالَ: «التَّوَكُّلُ جَمَاعُ الْإِيمَانِ».

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم:

٢٢٠

٢ - سورة المائدة: الآية / ٢٣

٣ - سورة آل عمران: الآية / ١٢٢

٤ - سورة الأنفال: الآية / ٤٩

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^١.

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ لَا يَنَافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا وَاتَّوَكَّلْ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^٢.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَنْزَوِدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٣. [البقرة: ١٩٧].^٣

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»^٤.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ،

١ - سورة الطلاق: الآية / ٢

٢ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٧،

بسند حسن

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، حديث رقم: ١٥٢٣

٤ - رواه البخاري - كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ...﴾ الآية، حديث رقم: ٤٥٦٣

وَكُفَيْتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟^١.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: التَّوَكُّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ. لَيْسَ يَقُولُ اللِّسَانُ، وَلَا عَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَلَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعُلُومِ وَالْإِذْرَاكَاتِ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ أَعْلَمَ وَأَعْرِفَ كَانَ تَوَكُّلُهُ أَصَحَّ وَأَقْوَى.

فَالْتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، وَيَنْدَفِعُ بِهَا الْمَكْرُوهُ. فَمَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ لَمْ يَسْتَقِمْ مِنْهُ التَّوَكُّلُ. وَلَكِنَّ مِنْ تَمَامِ التَّوَكُّلِ عَدَمُ الرُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَقَطْعُ عِلَاقَةِ الْقَلْبِ بِهَا؛ فَيَكُونُ حَالُ قَلْبِهِ قِيَامَهُ بِاللَّهِ لَا بِهَا. وَحَالُ بَدَنِهِ قِيَامَهُ بِهَا.

فَالْأَسْبَابُ مَحَلُّ حِكْمَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَدِينِهِ. وَالتَّوَكُّلُ مُتَعَلِّقٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. فَلَا تَقُومُ عُبودِيَّةُ الْأَسْبَابِ إِلَّا عَلَى سَاقِ التَّوَكُّلِ. وَلَا يَقُومُ سَاقُ التَّوَكُّلِ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الْعُبودِيَّةِ.

فَعَلَى قَدَرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ. يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَسَرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

وَالْتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

١ - رواه أبو داود - أبواب النُّوم، بابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، حديث رقم: ٥٠٩٥، بسند صحيح

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ [النساء: ٨١]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^١.

الحَيَاءُ

من أسباب محبة الله تعالى الحياء: عن أشج بن عَصْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِيكَ خُلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». قُلْتُ مَا هُمَا قَالَ: «الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ». قُلْتُ أَقْدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا قَالَ «بَلْ قَدِيمًا». قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا.^١

أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عز وجل يحب الحياء ويحب المتصفين بصفة الحياء، ولم لا؟ والحياء صفة الله تعالى، وصفة الملائكة الأبرار، وصفة الصفوة من الصالحين.

تعريف الحياء:

قال ابن دقيق العيد: الحياء لغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان لخوف ما يعاب أو يعاتب عليه.

وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.

منزلة الحياء في الإسلام:

الحياء من الإيمان:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَصْحَاءَهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ».^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٧٥٥، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٦، والبخاري في الأدب المفرد - باب التَّوَدُّعِ فِي الْأُمُورِ، حديث رقم: ٥٨٤، وأبو داود - أَبْوَابُ النَّوْمِ، بابٌ فِي قُبْلَةِ الرَّجُلِ، حديث رقم: ٥٢٢٥، بلفظ: «الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ»، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَدَبِ، بابُ الْحَيَاءِ، حديث رقم: ٦١١٨

بل أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بين الإيمان والحياء تلازم لا ينفك وصلة وثيقة.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ مَقْرُونَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا»^١.

الحياء من صفات الله تعالى:

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِ إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهْمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^٢.

وعن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَغْتَسِلَ فَلْيَتَوَارَى بِشَيْءٍ»^٣.

الحياء من صفات الملائكة الأبرار:

أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الحياء من جملة صفات الكمال التي تتصف بها الملائكة؛ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَحْدَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَتْ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَتْ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَتْ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٤٧١، والصغير - حديث رقم: ٦٢٢

٢ - رواه أبو داود - بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوُثْرِ، بَابُ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٨٨، والترمذي - أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٥٥٦، وابن ماجه - كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٦٥، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٩٧٠، وأبو داود - كِتَابُ الْحَمَامِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّعَرِّيِ، حديث رقم: ٤٠١٢، والنسائي - الْغُسْلُ وَالتَّيْمُمُ، بَابُ: الْإِسْتِثَارِ عِنْدَ الْإِغْتِسَالِ، حديث رقم: ٤٠٦، بسند حسن

بَكَرٍ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^١.

الحياء خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ، اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُذْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ. وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ غُرِيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^٢.

الحياء من شمائل المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»^٣.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْم: ٢٤٠١

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ، حَدِيثٌ رَقْم: ٣٤٠٤

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ لَمْ يُؤَاجِهِ النَّاسَ بِالْعِتَابِ، حَدِيثٌ رَقْم: ٦١٠٢، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ كَثْرَةِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثٌ رَقْم: ٢٣٢٠

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»^١.

الحَيَاءُ خُلُقُ الْإِسْلَامِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^٢.

قال المناوي: أي: طبع هذا الدين وسجيته التي بها قوامه ونظامه: الحياء؛ لأن الإسلام أشرف الأديان، والحياء أشرف الأخلاق، فاعطى الأشرف للأشرف^٣.

الْحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ:

عَنْ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ الْمُزَنِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الْحَيَاءَ، فَقَالُوا: الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. فَقَالَ إِيَّاسٌ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قُرَّةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الْحَيَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّ عِيَّ اللِّسَانِ لَا عِيَّ الْقَلْبِ وَالْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ وَإِثْمَنَ يَزِدُّنَ فِي الْآخِرَةِ وَيَنْقُصُنَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا يَزِدُّنَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزِدُّنَ فِي الدُّنْيَا». قَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَأَمَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَأَمْلَيْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ كَتَبَهَا بِخَطِّهِ ثُمَّ صَلَّى بِنَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَإِنَّهُ لَفِي كُمِّهِ مَا وَضَعَهَا إِعْجَابًا بِهَا^٤.

١ - رواه الدارمي - بَابُ فِي سَخَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٧٢، وفي سنده ضعف

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الزهد، بَابُ الْحَيَاءِ، حديث رقم: ٤١٧٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ١٧٧٩، ومالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَيَاءِ - حديث رقم: ١٦٢٨

٣ - التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوي (١ / ٦٨٩)

٤ - رواه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها، حديث رقم: ١٩٣٥٨، ورواه في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٤٣٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٥٨١٤، بسند

ولا شك أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ» يدل على عظيم منزلة الحياء، وسمو مكانته، فكأنه ركن الدين الأعظم.

قال المناوي: (لأن مبدأه ومنتهاه يفضيان إلى ترك القبيح، وترك القبيح خير لا محالة، فكان لا يأتي إلا بخير؛ ولأن من استحيا من الخلق قل شره، وكثر خيره، وغلب عليه السخاء والسماح، الموصلان إلى ديار الأفراح، وأشفق أن يرى أحد في دينه خللاً، أو في عمله زللاً فمن ثم كان فيه كمال الدين لمصير من هو شعاره من المتقين).^١

الحياء زينة كل شيء:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ».^٢

إن أجمل ما يتزين به الإنسان اتصافه بالحياء، فزينة الثياب وزينة الحلي وغيرها، لا تساوى شيئاً بجانب التزين بالحياء والتخلق به، لاسيما الحياء للمرأة، فإنها له ألزم، وعليه أحرص، وقلته عند المرأة أقبح منه عند الرجل؛ لذلك يجب عليها في تمسكها بالحياء أضعاف ما يجب على الرجل.

الحياء شريعة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

الحياء من جملة شرائع الأنبياء، ومن عظيم وصاياهم، حتى تمسك به الناس في زمن الفترة وانقطاع الوحي ودروس العلم، وذلك لعظيم منزلته، وارتفاع مكانته في سائر الشرائع؛ فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ».^٣

١ - فيض القدير (٣/ ٤٢٧)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٦٨٩، والترمذي - أبواب البرِّ والصَّلة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْفُحْشِ وَالْفَحْشِ، حديث رقم: ١٩٧٤، وابن ماجه - كِتَابُ الرُّغَدِ، بَابُ الْحَيَاءِ، حديث رقم: ٤١٨٥

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ، حديث رقم: ٣٤٨٣

الحياء رأس مكارم الأخلاق:

كان لمكارم الأخلاق في الجاهلية منزلة سامية، ودرجة عالية رفيعة افتخر بها الشعراء، ومدحوا بها السادة والأشراف، وعلى رأس هذه المكارم: الحياء، فلما جاء الإسلام زاد هذا المعنى تأكيداً، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "الحياء رأس مكارم الأخلاق".

وقال عنتره يفتخر بالحياء:

لئن أك أسوداً فالمسك لوني ***** وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني ***** كبعد الأرض عن جو السماء

الحياء سمة الصالحين:

عن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: قال أبو بكر الصديق وهو يخطب الناس: "يا معشر المسلمين، استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظلم حين أذهب إلى العائط في الفضاء متفنعاً بثوبي استحياء من الله عز وجل".^١

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مُرّن أزواجكن أن يستطيبن بالماء فإنّي أستحيهن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعلُهُ». ^٢

وعن الحسن، أنه ذكر عثمان وشدة حيائه، فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مُغلّق، فما يضع عنه الثوب لِيُفيض عليه الماء، يمتعه الحياء أن يُقيم صلبه. ^٣

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - الحياء، حديث رقم: ٧٣٣٧

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٦٢٣، الترمذي - أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ١٩، والنسائي - كتاب الطهارة، الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٤٦، بسند صحيح.

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٥٤٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٥٦)، بسند رجاله ثقات.

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إني لأدخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فاحني فيه صليحي حياء من ربي.

ومن حياء الصحابة كذلك ما رواه عطاء بن أبي رباح قال قال لي ابن عُبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتُ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.^١

الحياء خير لباس:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِرَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾.^٢

قال الحسن: ﴿لباسُ التقوى﴾: الحياء.

الحياء كله خير ولا يأتي إلا بخير:

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً. فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ أُحَدِّثْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صَحِيفَتِكَ.^٣

وعن أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». قَالَ أَوْ قَالَ «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ

١ - رواه البخاري - كتاب الطب، باب فضل من يُصرَع من الرِّيح، حديث رقم: ٥٦٥٢، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه من مرضٍ أو حزنٍ أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها، حديث رقم: ٢٥٧٦

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ٢٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحياء، حديث رقم: ٥٧٧٢، ومسلم - كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث: ٧٨

الحِكْمَةُ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ وَقَالَ أَلَا أُرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُعَارِضُ فِيهِ. قَالَ فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ قَالَ فَأَعَادَ بُشَيْرٌ فَغَضِبَ عِمْرَانُ قَالَ فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ.^١

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم: ٧٩

كيف نحقق الحياء في حياتنا؟

تكلف الحياء ومعناه أن يتصنع الإنسان الحياء ويتطبع به حتى يصير له سجية وطبعاً:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَفْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرُ»^١.

حفظ الجوارح من الحرام وهو من أعظم الأسباب الجالبة للحياء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبُطْنَ وَمَا حَوَى وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^٢.

ترك الفحش من الكلام فإنه علامة قلة الحياء:

وقد جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفحش في مقابلة الإيمان، وجعله في مقابلة الحياء، إذا وَجِدَ أَحَدُهُمَا انْتَفَى الْآخَرُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»^٣.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٧٦٣، ورواه في الأوسط حديث رقم: ٢٧١٦، وقال الألباني حسن لغيره انظر

سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢، وقال الألباني حسن لغيره انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٥٦٥، والحاكم - كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٩٩٠، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، باب حديث رقم: ٢٤٤٠، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٠٩٤، بسند حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٩٤٨، الترمذي - أبواب البر والصلة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ، حديث رقم: ١٩٧٧، والبخاري في الأدب المفرد - بَابُ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، حديث رقم: ٣١٢، بسند صحيح

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»^١.

تعلم هدى النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته والتخلق بأخلاقه:

فإذا فعل ذلك اكتسب الحياء لا محالة، فإنه من أظهر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم؛ كما قال القائل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ***** إن التشبه بالرجال فلاح

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

مجالسة الصالحين، ومخالطة الأتقياء:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^٢.

وعن مجاهد قال: «لَوْ أَنَّ الْمُسْلِمَ، لَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ، إِلَّا أَنْ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي»^٣.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٤٦٥، والترمذي - كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ، حديث رقم:

١٩٧٤، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحياء - حديث رقم: ٤١٨٣، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٤٤٤

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، حديث رقم: ٢١٠١، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومُجَانِبَةِ قُرْنَاءِ السَّوِّءِ، حديث رقم: ٢٦٢٨

٣ - رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق - باب ذِكْرِ الْحَيَاءِ وَمَا جَاءَ فِيهِ، حديث رقم: ٩٦

اعتزال السفلة ورعاع الناس وتجنب مخالطة الفساق:

فإنهم لا يتورعون عن قبيح ولا يستحيون من قول ولا فعل وإن كان محرماً ومخالطة هؤلاء وأمثالهم وعدم اعتزال البيئة الفاسدة من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتزاع الحياء من العبد فإن المرء يتأثر بمن يخالط بدرجة كبيرة جداً وقد لا يشعر بذلك.

قال طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ***** فكل قرين بالمقارن يقتدي

بل إن الأخلاق الفاسدة وعلى رأسها قلة الحياء أسرع عدوى من الجرب كما قال القائل:

وعدوى البليد إلى الجليد سريعة ***** والنار توضع في الرماد فتخمد

استحضار نعم الله تعالى على العبد واستشعار التقصير في أداء شكرها:

قال الجنيد: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء.

وقيل:

هب البعث لم تأتنا رسله ***** وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق ***** حياء العباد من المنعم

استشعار معية الله تعالى:

من الأسباب المعينة على اكتساب الحياء استحضار قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^١.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ سُؤْلِ جِبْرِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حَدِيثٌ رَقْم: ٥٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، حَدِيثٌ رَقْم: ١

فاستشعار معية الله تعالى من أعظم الأسباب الجالبة للحياء وكان الإمام أحمد رحمه الله يكثر ذكر هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ***** خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ***** ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ترك الذنوب والمعاصي:

من أعظم الأسباب كذلك الجالبة للحياء الندم والتوبة من الذنوب والمعاصي.
عن حذيفة رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْخَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^١.

أثر الإعراض عن الحياء على الفرد والمجتمع:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ

١ - رواه مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيْبًا وَسَعُوْدُ غَرِيْبًا، وَإنه يَأْرُزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، حَدِيثٌ رَقْم:

عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَثِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَحَيَّرُوا مِمَّا
أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»^١.

١ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الْفَقَنِ، بَابُ الْعُقُوبَاتِ، حديث رقم: ٤٠١٩، والبيهقي في شعب الإيمان- الزكاة، التشديد
على من منع زكاة المال، حديث رقم: ٣٠٤٢، بسند حسن

التَّقْوَى

من أسباب محبة الله تعالى: التقوى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^٣.

حد التقوى:

أَصْلُ التَّقْوَى: التَّوَقَّى بِمَا يَكْرَهُ لِأَنَّ أَصْلَهَا وَقْوَى مِنَ الْوَقَايَةِ وَالْحِمَايَةِ وَالصِّيَانَةِ.

وحقيقتها: أن يجعل العبد بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال.

قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا سَلَكَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: شَمَرْتُ وَاجْتَهَدْتُ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَى.^٤

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ.^٥

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٦

٢ - سورة التوبة: الآية/ ٤

٣ - سورة التوبة: الآية/ ٧

٤ - تفسير البغوي (١/ ٦٠)

٥ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد- بابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عز وجل، حديث رقم: ١٣٤٣، وابن أبي شيبه في مصنفه-

حديث رقم: ٣٢٣٧٠، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ٤٥٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٦٤)

فضيلةُ التَّقْوَى:

التَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمَتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].^١

قيل: ادَّخَرُوا لأنفسِكُم الخيرَ بتقوى الله تعالى؛ في الائتمار بأوامره، والانتهاء بنواهيه؛ فَإِنَّ تقوى الله خيرٌ ما يُتَزَوَّدُ ويُدَّخَرُ؛ فَإِنَّهُ باقٍ، وغيرُهُ فانٍ.^٢

كَرُمُ الْعَبْدِ تَقْوَاهُ لِلَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ بْنُ يَحْيَى اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَفَّهُوا».^٤

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، حديث رقم:

١٥٢٣

٢ - التيسير في التفسير (٣/ ١٣٤)

٣ - سورة الحجرات: الآية/ ١٣

٤ - رواه البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، حديث رقم: ٣٣٥٣، ومسلم-كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٧٨

وَعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْحَسْبُ الْمَالُ، وَالكَرْمُ التَّقْوَى».^١

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ مَا يَتَفَاوَضُ بِهِ النَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».^٢

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ». قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا. كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبْلَغْتُ؟"، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠١٠٢، الترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة الحجرات، حديث رقم: ٣٢٧١، وابن ماجه - أول أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، حديث رقم: ٤٢١٩، وصححه الألباني

٢ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب الأكل في الدين وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، حديث رقم: ٥٠٩١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٤٨٩، بسند صحيح

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾^١.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^٢.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾^٣.
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ
النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ:
«الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^٤.

قال الطيبي قوله: «تَقْوَى اللَّهِ» إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق، بأن يأتي جميع ما أمره به،
وينتهي عما نهى عنه، «وَحُسْنُ الْخُلُقِ» إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق. وهاتان الخصلتان
موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما لدخول النار، فأوقع الفم والفرج مقابلاً لهما، أما الفم فمشمول
على اللسان، وحفظه ملاك أمر الدين كله، وأكل الحلال رأس التقوى كله. وأما الفرج فصونه من
أعظم مراتب الدين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]؛ لأن هذه
الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل، ومن ترك الزنا خوفاً
من الله تعالى، مع القدرة، وارتفاع الموانع، وتيسير الأسباب - لاسيما عند صدق الشهوة - وصل
إلى درجة الصديقين، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ

١ - سورة الحجر: الآية/ ٤٥، ٤٦

٢ - سورة الدخان: الآية: ٥١ - ٥٤

٣ - سورة القمر: الآية/ ٥٤، ٥٥

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٩٦، الترمذي - أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٠٠٤، والبخاري في الأدب المفرد - بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ إِذَا فَقَّهُوا، حديث رقم: ٢٩٤، وحسنه
الألباني

هي المأوى ﴿[النازعات: ٤٠ - ٤١]، ومعنى الأكثرية في القرينتين أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين هاتين الخلتين، وأن أكثر أسباب الشقاوة الجمع بين هاتين الخلتين»^١.

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى تجعل للعبد نوراً يميز به بين الحق والباطل:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٢.

قال القرطبي: ذكر بلفظ الشرط، لأنه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضاً. فإذا اتقى العبد ربه - وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه - وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إيماناً^٣.

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ مَغْفَرَةِ الذُّنُوبِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾^٤.

فمغفرة الذنوب وتكفير السيئات أثر من آثار تقوى الله تعالى للعبد؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^٥.

١ - شرح المشكاة للطبي (١٠: ٣١٢١)

٢ - سورة الأنفال: الآية / ٢٩

٣ - الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٩٦)

٤ - سورة الأنفال: الآية / ٢٩

٥ - سورة الطلاق: الآية / ٥

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ حِفْظِ الْعَبْدِ مِنْ كَيْدِ الْكَائِنِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.^١

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله، واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم، وتتقوا ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزكم، وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله، لا يضركم كيدهم شيئا: أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ويعني بكيدهم غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق.^٢

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ النَّصْرِ:

قال الله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.^٣

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ تَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾.^٤

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٢٠

٢ - تفسير الطبري جامع البيان (٥/ ٧٢٣)

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٢٥

٤ - سورة الطلاق: الآية/ ٢

تَقْوَى اللَّهِ تَجْعَلُ الْعَبْدَ فِي مَعِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^١.

كيف نحقق تقوى الله تعالى؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. قَالَ: «أَنْ يُطَاعَ وَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُشْكَرَ وَلَا يُكْفَرَ، وَأَنْ يُذَكَّرَ، وَلَا يُنْسَى»^٢.

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمِشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^٣.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهُ الْعَبْدُ، حَتَّى يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّى يَتْرَكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ^٤.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ كُلَيْبٍ، قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَخٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ «فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدَعَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ مَا يَكُونُ حَاجِرًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ مِنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ كُلَّهُ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ»^٥.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٤

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٥٠٢

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ حَدِيثٌ رَقْم: ٥٢، ومسلم - كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ اخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حَدِيثٌ رَقْم: ١٥٩٩

٤ - الزهد والرفائق لابن المبارك (الملحق ص/ ١٩)

٥ - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٣)

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ الْفَيْضُ قَالَ: سَأَلْتُ مُوسَى بْنَ أَعْيَنَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، قَالَ: «تَنَزَّهُوا عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ مُتَّقِينَ»^١.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: إِنَّمَا سُمُّوا الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمْ اتَّقَوْا مَا لَا يُتَمَّى^٢.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أَدَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُرَّةً مِنَ الْحَلَالِ لَا أُخْرِقُهَا^٣.
وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: لَا يَسْلَمُ لِلرَّجُلِ الْحَلَالُ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزًا مِنَ الْحَلَالِ^٤.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: لَا يُصِيبُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزًا مِنَ الْحَلَالِ، وَحَتَّى يَدَعَ الْإِثْمَ وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ^٥.

وَعَنْ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَدَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ»^٦.

١ - الورع لابن أبي الدنيا (ص: ٥٩)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٨٤)

٣ - كتاب الورع لأبي بكر المروذي - هل لِلْوَالِدَيْنِ طَاعَةٌ فِي الشُّبُهَةِ، حديث رقم: ١٧٨

٤ - كتاب الورع لأبي بكر المروذي - مَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ وَكَيْفَ سَلِمَ لَهُ الْحَلَالُ، حديث رقم: ١٥٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٨٤)

٥ - كتاب الورع لأبي بكر المروذي - تَرَكُ بَعْضُ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْحَرَامِ، حديث رقم: ٤٣٩

٦ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٢٤٥١، وابن ماجه - كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، حديث رقم: ٤٢١٥، وفي سنده ضعف

حُسْنُ الْخُلُقِ

من أسباب محبة الله تعالى للعباد حسن الخلق؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»^١.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ اللَّهِ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا قَضَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى»^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ اللَّهِ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَسَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، وَسَمَحًا إِذَا قَضَى وَسَمَحًا إِذَا اقْتَضَى»^٣.

حقيقة حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: «هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى»^٤.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٥٩٢٨، والأوسط - حديث رقم: ٢٩٤٠، والحاكم في المستدرک - كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٥١، والبيهقي في شعب الإيمان - السابع والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٧٦٤٧، بسند صحيح

٢ - رواه مالك في الموطأ - كتاب القضاء في البيوع، باب في السلف والدَّين إلى أجل، حديث رقم: ١٦٩، ومعمّر بن راشد في جامعه - حيث رقم: ٢١٠٠٤، بسند صحيح

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - السابع والسبعون من شعب الإيمان. "وهو باب في أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إمطة الأذى عن الطريق، فصل في إنظار المعسر والتجاوز عنه، والرفق بالموسر والوضع عنه، حديث رقم: ١٠٧٤٠،

٤ - رواه الترمذي - أبواب البرِّ والصَّلة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم:

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى».^١

فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.^٢

قيل هذه الآية هي أجمع آية لحسن الخلق.

حسن الخلق يجعل صاحبه أكمل المؤمنين إيماناً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».^٣

قال ابن بطال: أخلاق العبد حسننها وسيئها إنما هي من كسبه واختياره فيحمد على الجميل منها، ويثاب على ما كان منها طاعة ويعاقب على ما كان منها معصية، ولولا أنها للعبد كسب لبطل الأمر به والنهي عنه، وفي قول النبي عليه السلام لمعاذ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، البيان عن صحة ما قلناه؛ لأن ذلك لو كان طبعاً في العبد

١ - رواه البخاري - كتابُ البُيُوعِ، بابُ السُّهُولَةِ وَالسَّهَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، حديث رقم: ٢٠٧٦

٢ - سورة النحل: الآية/ ٩٠

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٤٠٢، وأبو داود - بابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقُصَانِهِ، حديث رقم: ٤٦٨٢، والترمذي - أَبْوَابُ الرِّضَاعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، حديث رقم: ١١٦٢، والدارمي - ومن كتاب الرقاق، بابُ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٨٢١، بسند صحيح

هَيَّاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَاسْتِحَالُ الْأَمْرِ بِهِ وَالنَّهْيُ عَنْ خِلَافِهِ، كَاسْتِحَالَةِ أَمْرٍ مِنْ لَا بَصَرَ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ بَصَرٌ، فَلِذَلِكَ كَانَ الْحُكَمَاءُ يُوصُونَ بِالْحَسَنِ مِنْهُ.^١

الْمُؤْمِنُ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».^٢

حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ الْعَايَةُ مِنْ بَعَثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».^٣

وَفِي رَوَايَةٍ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».^٤

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: مَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا بَعَثَهُ لِيُكْمِلَ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فَكَانَتْ بَعَثَتُهُ إِيَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُكْمِلَ لِلنَّاسِ أَدْيَانَهُمُ الَّتِي قَدْ كَانَ تَعَبَّدَ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٢٣٤)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٥٩٥، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤٧٩٨، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد - باب حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٧٣، والحاكم - كتاب تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمِنْ كِتَابِ آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي هِيَ دَلَالُ الْبُيُوتَةِ، حديث رقم: ٤٢٢١، والخرائطي في مكارم الأخلاق - حديث رقم: ١، والبيهقي في الشعب - حديث رقم: ٧٦٠٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بَيَانِ مُشْكِكِ مَا زُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"، حديث رقم: ٤٤٣٢، وصححه الألباني

٤ - رواه البزار - حديث رقم: ٨٩٤٩، والبيهقي في السنن - كتاب الشَّهَادَاتِ، باب: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا الَّتِي مَنْ كَانَ مُتَحَلِّقًا بِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِسَارِ - حديث رقم: ٢٠٧٨٢

أنبيائه بما تعبده به منها، ثم كملها عز وجل له بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، والإكمال: هو الإتمام، فهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "بُعِثْتُ لِإِتْمَامِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ"، أي: صالح الأديان، وهو الإسلام، وبالله التوفيق.^١

صاحب الخلق الحسن أقرب الناس لمجلس النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَدَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^٢

ولما كان صاحب الخلق الحسن قريباً من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، كان جزاؤه القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرباً حسياً يوم القيامة.

حُسن الخلق وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ». قَالَ: زِدْنِي قَالَ: «اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».^٣

١ - شرح مشكل الآثار (١١ / ٢٦٣)

٢ - رواه الترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم: ٢٠١٨، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٩٨٨، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٢٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٦٦٠، بسند حسن

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخِرُّ مَا أَوْصَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْعَرَزِ أَنْ قَالَ: «أَحْسِنُ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»^١.

حُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبُ سُكْنَى الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيِّتٍ فِي رِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيِّتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيِّتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»^٢.

لما كان لحسن الخلق تلك المنزلة الرفيعة في دين الله تعالى، كان لصاحبه تلك الدرجة المنيفة الشريفة في الجنة، بيت في الفردوس في أعلى الجنة، فكان العلو في الجنة في مقابلة سمو الأخلاق ورفعتها.

حُسْنُ الْخُلُقِ أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^٣.

١ - رواه مالك - كِتَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٦٨٢

٢ - رواه أبو داود - حديث رقم: ٤٨٠٠، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٤٨٨، والبيهقي في السنن الكبرى - كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: الْمَزَاحُ لَا تُرَدُّ بِهِ الشَّهَادَةُ مَا لَمْ يُخْرَجْ فِي الْمَزَاحِ إِلَى عَضِهِ النَّسَبِ أَوْ عَضِهِ بَحْدٍ أَوْ فَاحِشَةٍ، حديث رقم: ٢١١٧٦، وحسنه الألباني

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥١٦، وأبو داود - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤٧٩٩، والترمذي - أَبْوَابُ الزَّيْرِ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٠٠٣، وابن أبي شيبه في مسنده - حديث رقم: ٤٠، ومصنفه - حديث رقم: ٢٥٣٢٣، وابن أبي عاصم في السنة - بَابُ ذِكْرِ الْمِيزَانِ، حديث رقم: ٧٨٣، والخرائطي في مكارم الأخلاق - حديث رقم: ٥٦، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٦٣٨، وصححه الألباني

لما كان حسن الخلق سبب قبول الأعمال، وفقده سبباً في ردها، كان حسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد؛ إذ لا قيمة للأعمال مع سوء الخلق؛ أبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».^١

ولعل وجه التقييد باللسان أنه أغلب ما يؤدي به وأقوى ما يتأذى له الإنسان كما قال الشاعر:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ هَذَا التَّامُ **** وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ».^٢

الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ:

عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٧٥، والبخاري في الأدب المفرد - باب لا يؤذي جاره، حديث رقم: ١١٩

٢ - رواه ابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن حسن الخلق من أفضل ما أُعطي المرء في الدنيا، حديث رقم: ٤٧٨، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، حديث رقم: ٢٥٥٣

كيف نحقق حسن الخلق:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسٍ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الْحَرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأْذَنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، «وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»^١.

١ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین، حديث رقم:

الْحِلْمُ

من أسباب محبة الله تعالى: الحلم؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجِّ أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ حَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^١.

الْحِلْمُ لُغَةً:

الحلم لغة: الْأَنَاةُ والعقل؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾^٢.

وقيل: الحلم: وهو: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.^٣

الْحِلْمُ شَرْعًا:

وَالْحِلْمُ شَرْعًا: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخيرُ مكافأةِ الظالم.^٤

مَنْزِلَةُ الْحِلْمِ فِي الْإِسْلَامِ:

لِلْحِلْمِ فِي الْإِسْلَامِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ جَدُّ عَظِيمَةٍ، وَمَكَانَةٌ سَامِيَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ مَنِيفَةٌ.

الْحِلْمُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^٥.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالِدُّعَاءِ إِلَيْهِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٥

٢ - سورة الطور: الآية / ٣٢

٣ - موسوعة شرح أسماء الله الحسنى (١: ٢١٦)

٤ - التعريفات (١/ ١٢٥)

٥ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^٢.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»^٤.

قال ابن جرير الطبري: ﴿حَلِيمٌ﴾، يعني: أنه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم.^٥

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٥٥

٢ - سورة المائدة: الآية/ ١٠١

٣ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، حديث رقم: ٥٧٥٤، ومسلم- كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم: ٥١٢٣

٤ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه، حديث رقم: ٤٢٢١

٥ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (٤/ ٢٨٦)

وقال الخطابي: الحليم: هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزّه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة. والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء ببيان هذا المعنى في قوله: ^١

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ***** حَتَّى يَذُلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً ***** لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

الْحِلْمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

أخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ الْحِلْمَ وَيَحِبُّ الْمُتَصِفِينَ بِصِفَةِ الْحِلْمِ، ويكفي ذلك في الدلالة على أنها في الذروة من مكارم الأخلاق.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجِّ بْنِ شَجٍّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ» ^٢.

وعن أُمِّ أَبَانَ بْنِ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ، عَنْ جَدِّهَا، زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا، فَتَقَبَّلَ يَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَهُ، قَالَ: «وَأَنْتَظِرُ الْمُنْذِرَ الْأَشَجَّ حَتَّى آتَى عَيْبَتَهُ فَلَيْسَ ثَوْبِيهِ، ثُمَّ آتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ^٣.

١ - شأن الدعاء (١/٦٣، ٦٤)

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حديث رقم: ٢٥

٣ - رواه أبو داود - أبواب النّوم، باب في قبلة الرجل، حديث رقم: ٥٢٢٥

وكان الأشج بن عصر قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبد القيس، وكان سبب وفادتهم أن منقذ بن حيان رجلاً منهم قدم المدينة تاجرًا، فمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومًا، فنهض إليه منقذ وسمع كلامه فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشرف قومه رجل بأسمائهم، فأسلم وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ باسم ربك، وكتب معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه، وكانوا ينزلون البحرين الخطي وأعيانها وسرة القطيف والسفارة والظهران إلى الرمل إلى الأجرع، ما بين هجر إلى قصر وبينونه ثم الجوف والعيون والإحساء، إلى حد أطراف الدهناء فلما قدم منقذ على قومه كتمهم الكتاب، فطفق يصلي ويقرأ فقالت زوجته وهي بنت الأشج لأبيها: إني أنكرت بعلي منذ قدم من يثرب، إنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة يعني القبلة فيحني ظهره مرة، ويضع جبينه مرة، ذلك ديدنه منذ قدم، فتلاقيا فأخبره الخبر فأسلم الأشج ثم ثار على قومه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم من أسلم منهم ثم تجهزوا وافدين، وذلك قبل الفتح، ولما دنوا من المدينة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجلسائه: "أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الأشج العصري"، وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأشج لأثر كان في وجهه.^١

الحلم دليل القوة:

ومما يدل على أن الحلم دليل القوة ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».^٢

١ - بحجة المحافل وبغية الأماثل (١ / ٣٨١)

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٥٧٦٩، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٤٨٣٠

وَفِي هَذَا دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ أَصْعَبُ مَرَامًا وَأَفْضَلُ مِنْ مُجَاهَدَةِ الْعَدُوِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا قَوْلُهُ (الصُّرْعَةُ) فَإِنَّهُ يَعْنِي الْكَثِيرَ الْقُوَّةَ الَّذِي يَصْرَعُ كُلَّ مَنْ صَارَعَهُ وَمِثْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: هَذَا رَجُلٌ نُومَةٌ. يَعْنِي كَثِيرَ النَّوْمِ وَحَقْفَةً يَعْنِي كَثِيرَ الْحِفْظِ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: الصُّرْعَةُ تَثْقِيلُ الْكَلِمَةِ بِالْحَرَكَاتِ مَعْنَاهُ الَّذِي يَصْرَعُ النَّاسَ قَالَ: وَالصُّرْعَةُ بِالتَّخْفِيفِ (الرَّجُلُ الضَّعِيفُ النَّحِيفُ) الَّذِي يَصْرَعُهُ النَّاسُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَثْبُتُ وَكَذَلِكَ الضُّحْكَةُ بِالتَّثْقِيلِ الَّذِي يُضْحِكُ بِالنَّاسِ وَالضُّحْكَةُ بِالتَّخْفِيفِ الَّذِي يُضْحِكُ مِنْهُ النَّاسُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعْدُونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».^٢

الْحِلْمُ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ».^٣

قال الخطابي: معنى: «لَا تَغْضَبَ»: هو أن يحذر أسباب الغضب وألا يتعرض للأُمُور التي تجلب عليه الضجر فتغضبه. فأما نفس الغضب، فطبع في الإنسان لا يمكنه نزعها وإخراجها من جبلته وقد يكون معنى قوله: لا تغضب، أي: لا تفعل ما يأمرك به الغضب ويحملك عليه من القول والفعل.

١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٦/ ٣٢٣)

٢ - رواه مسلم - كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ، حديث رقم: ٢٦٠٨

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٥٧٧١

وقد قيل: إِنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْغَضَبِ الْكِبَرُ، وَإِنَّمَا يَغْضَبُ الْإِنْسَانُ لَمَّا يَتَدَاخِلُهُ مِنَ الْكِبَرِ عِنْدَمَا يَخَالِفُ فِي أَمْرٍ يَرِيدُهُ أَوْ يِعَارِضُ فِي شَيْءٍ يَهْوَاهُ، فَيَحْمِلُهُ الْكِبَرُ عَلَى الْغَضَبِ لَذَلِكَ، فَإِذَا تَوَاضَعَ وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ ذَهَبَتْ عَنْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ وَمَاتَتْ سُورَةُ الْغَضَبِ، فَسَلِمَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ شَرِّهِ.^١

قال ابن رجب: فَهَذَا الرَّجُلُ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوصِيَهُ وَصِيَّةً وَجِيزَةً جَامِعَةً لِحِصَالِ الْخَيْرِ، لِيَحْفَظَهَا عَنْهُ حَشِيَّةً أَنْ لَا يَحْفَظَهَا لِكَثْرَتِهَا، فَوَصَّاهُ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَغْضَبُ، ثُمَّ رَدَّدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَلَيْهِ مَرَّارًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُ عَلَيْهِ هَذَا الْجَوَابَ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُصْبَ جَمَاعُ الشَّرِّ، وَأَنَّ التَّحَرُّزَ مِنْهُ جَمَاعُ الْخَيْرِ.^٢

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَكْبَرُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ».^٣

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ مَكْحُولٍ فَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ مَكْحُولٌ: «ذَلَّ مَنْ لَا سَفِيَةَ لَهُ».^٤

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنَ غَضَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».^٥

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ اسْتَوْصَاهُ: لَا تَغْضَبْ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣: ٢١٩٧)

٢ - جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٢)

٣ - رواه ابن ماجه- كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٧، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٧٤٢٠، والبيهقي في شعب الإيمان- فصل في ترك الغضب، حديث: ٨٠٥٣ بسند صحيح

٤ - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان- التاسع والثلاثون من شعب الإيمان فصل في المكافأة بالصنائع، حديث رقم: ٨٨٣١

٥ - رواه أحمد- حديث رقم: ٦٤٦٣، بسند حسن

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ الْأَمْرُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنَ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ وَالْحِلْمِ وَالْحَيَاءِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالِاخْتِمَالِ وَكَفِّ الْأَذَى، وَالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَالطَّلَاقَةِ وَالْبُشْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَخَلَّقَتْ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ، وَصَارَتْ لَهَا عَادَةً أَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ دَفْعَ الْغَضَبِ عِنْدَ حُصُولِ أَسْبَابِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا تَعْمَلْ بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَكَ، بَلْ جَاهِدْ نَفْسَكَ عَلَى تَرْكِ تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، فَإِنَّ الْغَضَبَ إِذَا مَلَكَ ابْنَ آدَمَ كَانَ الْأَمْرَ وَالنَّاهِيَ لَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٥٤]، فَإِذَا لَمْ يَمْتَثِلِ الْإِنْسَانُ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ غَضَبُهُ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، انْدَفَعَ عَنْهُ شَرُّ الْغَضَبِ، وَرُبَّمَا سَكَنَ غَضَبُهُ، وَذَهَبَ عَاجِلًا، فَكَأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَغْضَبْ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].^١

خَطَرُ الْإِتِّصَافِ بِالْغَضَبِ:

الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ:

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ «لَا تَغْضَبْ». قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ فَفَكَرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.^٢

١ - جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٤)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٥٨٨، والبيهقي في السنن - كتاب آداب القاضي، باب لا يقضي وهو غضبان، حديث رقم: ١٨٨٥٨، بسند صحيح

قال في الإحياء: حقيقة الغضب: هو غليان الدم لطلب الانتقام، والنَّاسُ في قوَّةِ الغضب على درجات، فمن قويت نار الغضب في وجهه، أعمته، وأصمته عن كلِّ موعظةٍ وإرشاد.^١

من صور الحِلْمِ:

حِلْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.^٢

حِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْخُرَّيْنِ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْخُرَّيْنَةُ فَاذْنًا لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَعُضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقَعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْخُرَّيْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١ - توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧: ٤٢٢)

٢ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، حديث رقم: ٥٧٤٤، ومسلم- كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، حديث رقم: ١٨١٣

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمُرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.^١

ثَمَرَةُ الْحِلْمِ:

الْحِلْمُ جَزَاءُهُ الْجَنَّةُ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ».^٢

ومعنى: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا»؛ أي: تجرعه، واحتمل سببه، وصبر عليه، «وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ»؛ أي: وهو قادر على إمضائه وإيقاع ما يشفي غيظه بعدوه، «دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ»، أي: ناداه مناد من قبل الله تعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أنواع الحور العين ما شاء منها حين تعرض عليه.^٣

كيف نجعل الحِلْمَ صفةً لنا وهيئةً راسخةً في نفوسنا؟

تَكْلُفُ الْحِلْمِ:

ومعناه أن يتصنع الإنسان الحِلْمَ ويتطبع به حتى يصبر له سجيةً وطبعًا فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ

١ - رواه البخاري - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، حديث رقم: ٤٦٤٢

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٦٣٧، وأبو داود - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، حديث رقم: ٤٧٧٧، والترمذي - أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّالَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ، حديث رقم: ٢٠٢١، وابن ماجه - كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِلْمِ، حديث رقم: ٤١٨٦، بسند حسن

٣ - شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨: ٤٢٥)

يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطُهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَقَسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرُ^١.

استحضار الأجر العظيم الذي أعدّه الله تعالى لمن اتّصف بالحلم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَزْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَزْعَةِ غَيْظٍ، يَكْظُمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى»^٣.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْرِجَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ مَا شَاءَ»^٤.

التَّأْسِي بِأَهْلِ الْحِلْمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ،

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٧٦٣، ورواه في الأوسط، حديث رقم: ٢٧١٦، وقال الألباني: حسن لغيره،

انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٣، ١٣٤

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦١١٤، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٣٩٩٤، بسند صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٣٦١، وأبو داود - كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا، حديث رقم: ٤١٦٨،

والترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب في كظم الغيظ، حديث: ١٩٩٤، وابن ماجه -

كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٤، بسند حسن

وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحِمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^٢.

التعوذ بالله تعالى عند سورة الغضب:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَحَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَقَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسٌ، أَمْجُنُونُ أَنَا، اذْهَبْ^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب، حديث رقم: ٣٤٠٥، ومسلم - كتاب الرِّكَاءِ، بابُ إعطاءِ المؤلِّفَةِ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حديث رقم: ١٠٦٢

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب، حديث رقم: ٣٤٧٧

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب - باب ما ينهى من السباب واللعن - حديث رقم: ٥٧٠٨، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٤٨٣٢

تَغْيِيرُ الْهَيْئَةِ:

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَإِلَى احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ، وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيَتَّكِ». ١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا حَشِيَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَجْهَلَ أَخًا جَهْلٍ عَلَيْهِ، فَكَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ، وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيَمْسَ جَنْبَهُ الْأَرْضَ». ٢

الْوُضُوءُ:

قال الإمام أحمد حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو وَائِلٍ صَنْعَائِي مُرَادِيٌّ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِذْ أُدْخِلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ غَضِبَ قَامَ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْنَا وَقَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَطِيَّةٍ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ". ٣

وقيل:

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي كَتِيبَتَهُ ***** يَوْمَ النِّزَالِ وَنَارِ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ

١ - رواه معمر بن راشد - الغضب والغيط وما جاء فيه، حديث رقم: ٨٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان - التاسع والثلاثون

من شعب الإيمان، فصل في ترك الغضب، حديث رقم: ٨٠٣٨

٢ - رواه ابن وهب في جامعه - كتاب الصمت، في الكلام لما لا ينبغي ولا يحسن، حديث رقم: ٣٦١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٦٧٦، وأبو داود - كتاب الأدب - باب ما يقال عند الغضب - حديث رقم: ٤١٧٣

بسند ضعيف

لَكِنْ فَتَى غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى بَصَرًا ***** عَنِ الْحَرَامِ، فَذَاكَ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ مِنْ أَوْلَعِ النَّاسِ بِهَذَا الْبَيْتِ:

لَيْسَ الْأَحْلَامُ فِي حِينِ الرِّضَا ***** إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الْغَضَبِ

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يُعْرِفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

أَقْلَبُ طَرْفِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ***** لِأَعْلَمَ مَا فِي النَّاسِ وَالْقَلْبُ يَنْقَلِبُ

فَلَمْ أَرْ كَنْزًا كَالْفُنُوعِ لِأَهْلِهِ ***** وَأَنْ يُجْمَلَ الْإِنْسَانُ مَا عَاشَ فِي الطَّلَبِ

وَلَمْ أَرْ فَضْلًا صَحَّ إِلَّا عَلَى التَّقَى ***** وَلَمْ أَرْ عَقْلًا تَمَّ إِلَّا عَلَى أَدَبِ

وَلَمْ أَرْ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ خَبَرْتُهُمْ ***** عَدُوًّا يَفْعَلُ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ

وَعَضِبَ يَوْمًا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ بِهِ تَغْضَبُ هَذَا الْغَضَبُ؟

فَقَالَ لَهُ: أَوْ مَا تَغْضَبُ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي سَعَةُ جَوْفِي إِذَا لَمْ أُرَدِّدْ فِيهِ الْغَضَبَ حَتَّى لَا يَظْهَرَ؟^١

فَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَلَكَوْا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تَوْقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصِقْ بِالْأَرْضِ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَشِرَارَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ، بَطِيءَ الْفَيْءِ»^١.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»^٢. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مُورِقِ الْعِجْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا امْتَلَأْتُ غَيْظًا قَطُّ، وَلَا تَكَلَّمْتُ فِي غَضَبٍ قَطُّ بِمَا أُنْذِمُ عَلَيْهِ إِذَا رَضِيتُ^٣.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، مَا هُوَ؟ فَقَالَ: كَفُّ الْأَذَى، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ وَأَنْ لَا تَغْضَبَ^٤. وَقِيلَ لَهُ: اجْمَعْ لَنَا حُسْنَ الْخُلُقِ فِي كَلِمَةٍ، قَالَ: تَرَكَ الْغَضَبِ.

وَكَذَا فَسَّرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ حُسْنَ الْخُلُقِ بِتَرْكِ الْغَضَبِ.

وَقَدْ رُويَ ذَلِكَ مَرْفُوعًا، حَرَّجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ فِي كِتَابِ: (الصَّلَاةِ)، وَالْخَرَائِطِيُّ فِي مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشَّحِيرِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١١٤٣، والحاكم - كِتَابُ الْفَتَنِ وَالْمَلَا حِم، حديث رقم: ٨٥٤٣، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢٢٧٠، ومعمر بن راشد في جامعه - الْغَضَبُ وَالْغَيْظُ وَمَا جَاءَ فِيهِ، حديث رقم: ٢٠٢٨٩، والخرائطي في مساوي الأخلاق - بَابٌ فِي ذَمِّ الْغَضَبِ وَمَا يُرِيْلُهُ عِنْدَ كَوْنِهِ، حديث رقم: ٣٠٩، والبيهقي في شعب الإيمان - حسن الخلق، فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ والغفو عند المقدرة، حديث رقم: ٧٩٣٦

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٤٨، وأبو داود - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابٌ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ، حديث رقم: ٤٧٨٢، بسند صحيح

٣ - الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١١ / ٢)

٤ - تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٨٦٣ / ٢)

قَبِلَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ» ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي: مِنْ خَلْفِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَالِكَ لَا تَفْقَهُ! حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ»^١.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ عَصِمَ مِنَ الْهَوَى، وَالْغَضَبِ، وَالطَّمَعِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَرَمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِيمَانِ: مَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَدْخِلْهُ غَضَبُهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضَاهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ»^٢.

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ جَنَاحٍ: "اعْلَمْ أَنَّ مِنَ النَّاسِ، مَنْ يَجْهَلُ إِذَا حُلِمَتْ عَنْهُ، وَيَخْلُمُ إِذَا جَهِلَتْ عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ إِذَا أَسَاءَتْ بِهِ، وَيُسِيءُ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، وَيُنْصِفُكَ إِذَا ظَلَمْتَهُ، وَيَظْلِمُكَ إِذَا أَنْصَفْتَهُ، فَمَنْ كَانَ هَذَا خُلُقُهُ فَلَا بُدَّ مِنْ خُلُقٍ يُنْصِفُهُ مِنْ خُلُقِهِ، ثُمَّ نَجَّهِ بِنِصْفٍ مِنْ تَحْتِهِ وَجْهَالَةٍ تَفْدَحُ مِنْ جَهَالَتِهِ، وَإِلَّا ذَلِكَ، لِأَنَّ بَعْضَ الْحِلْمِ إِذْعَانُ، وَقَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفِيهَةٌ يُعْصِدُهُ، وَضَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَلِيمٌ يُرْشِدُهُ، وَفِي الْجَهَالَةِ وَنَفْعِهَا الْإِحْسَانُ" يَقُولُ:

لَئِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحِلْمِ إِنِّي ***** إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينِ أَخْوَجُ

١ - كتاب الصلوة لمحمد بن نصر المروزي - جُمَاعُ تَفْسِيرِ النَّصِيحَةِ، حديث رقم: ٨٧٨، والخرائطي في مساوئ الأخلاق -

حديث رقم: ٣٤٠

٢ - رواه الطبراني في الصغير - حديث رقم: ١٦٤

- وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلَجِّمٌ ***** وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرِجٌ
- فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيْمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ ***** وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجِي فَإِنِّي مُعْوِجٌ
- وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنًا وَلَا أَحَا ***** وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخَوِّجُ
- فَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ سَمَاجَةٌ ***** فَقَدْ صَدَقُوا وَالذُّلُّ بِالْحُرِّ أَسْمَجٌ

الفهرس

٢	مقدمة.....
٤	إثبات صفة المحبة لله تعالى
٧	يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ
٨	ثمرَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ:
١١	الإِحْسَانُ
١٤	منزلةُ الإِحْسَانِ:
١٤	الإِحْسَانُ صَفْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ:
٢٥	الحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى
٢٨	فضل مصاحبة الأخيار واتخاذ الإخوان الصالحين:
٢٨	الأخوة الإيمانية تحقق محبة الله تعالى:
٣٠	الأخوة الإيمانية تمنع من الوقوع في المعاصي:
٣١	الأخوة الإيمانية تعين على طاعة الله تعالى:
٣١	الأخوة الإيمانية توجب لأصحابها الاستظلال بظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله:
٣٢	الأخوة الإيمانية من النعم التي امتن الله تعالى بها علينا:
٢٧	الأخوة الإيمانية سبب في استشعار حلاوة الإيمان:
٣٣	الأخوةُ الإيمانيةُ عُدَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:
٣٣	العناية باختيار الأصحاب:
٣٤	الصاحب صاحب:
٣٧	حقوق الأخوة ولوازمها:

- رد غيبتة والمنافحة عن عرضه: ٣٧
- الدعاء له في حياته وبعد موته: ٣٧
- النصيحة في الله تبارك وتعالى: ٣٨
- من أقوال السلف في الأخوة: ٣٩
- الصَّبْرُ ٤٢
- فضل الصبر ومنزلته عند الله تعالى: ٤٢
- الصبر من صفات الله تعالى: ٤٢
- الله تعالى يحب الصابرين: ٤٣
- الصبر أوسع عطاء: ٤٣
- الصبر قرين النصر: ٤٣
- الصبر من عزم الأمور: ٤٤
- الصبر صفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: ٤٤
- الصبر نصف الدين: ٤٥
- الصابر في معية الله تعالى: ٤٦
- أجر الصابر لا يعلمه إلا الله تعالى: ٤٦
- أنواع الصبر: ٤٧
- الصبر على الطاعات: ٤٧
- الصبر عن المعاصي: ٤٧
- الصبر على المصائب: ٤٨
- الصَّبْرُ ضِيَاءٌ: ٥١

- ٥٣ قالوا عن الصبر:
- ٥٤ الفرق بين النافلة والفريضة:
- ٥٥ من صور النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى:
- ٥٥ الصيام:
- ٥٦ الصلاة:
- ٥٦ الصدقة:
- ٥٧ الأسباب المعينة على التقرب لله بالنوافل:
- ٥٧ الاستعانة بالله:
- ٥٧ معرفة فضائل العبادات:
- ٦٠ استشعار العجز والتقصير:
- ٦١ أثر النوافل على العبد في الآخرة:
- ٦١ لعل نجاتك في فعل نافلة:
- ٦٣ التَطَهُّرُ
- ٦٣ فضل التَطَهُّرُ:
- ٦٣ الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ:
- ٦٤ الطُّهُورُ سبب مغفرة الذنوب:
- ٦٥ الطُّهُورُ من سمات أهل الإسلام:
- ٦٦ الطُّهُورُ علامة المؤمنين يوم القيامة:
- ٦٦ الطُّهُورُ من أعظم أسباب دخول الجنة:
- ٦٧ التحذير من الاعتداء في الطهور:

- التَّوْبَةُ ٦٨
- فضل التوبة ومنزلة التائبين عند الله تعالى: ٦٨
- التوبة سبب في تبديل الله عز وجل سيئات العبد حسنات: ٧٠
- التوبة سبب سعادة العبد: ٧١
- التوبة سبب الفلاح في الدنيا والآخرة: ٧١
- المداومة على التوبة علامة على حسن الخاتمة: ٧٢
- التوبة سبب محبة الله تعالى للعبد: ٧٣
- توبة العبد العاصي: ٧٤
- أركان التوبة: ٧٥
- الندم: ٧٥
- الإقلاع عن الذنب: ٧٦
- العزم على ترك العود: ٧٧
- التوبة وظيفة العمر: ٧٨
- موانع قبول التوبة: ٧٩
- التوبة عند الحشجة ومعاناة ملائكة الموت: ٧٩
- التوبة عن طلوع الشمس من مغربها: ٨٠
- الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٨٢
- الناس في الجهاد طرفان ووسط: ٨٣
- الحكمة من تشريع الجهاد في الإسلام: ٨٣
- فضل الجهاد في سبيل الله: ٨٤

- ٨٤ ليس في الإسلام عَمَلٌ يَعْدِلُ الْجِهَادَ:
- ٨٥ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عَمَلٍ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى:
- ٨٥ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ:
- ٨٦ تَكْفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ:
- ٨٧ أَثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجِهَادِ:
- ٨٧ الذُّلُّ:
- ٨٧ الْوُقُوعُ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ:
- ٨٩ الْعَدْلُ
- ٨٩ الْعَدْلُ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ:
- ٨٩ إِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ:
- ٩١ الْعَدْلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى:
- ٩١ الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ:
- ٩١ الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ:
- ٩٢ خَطَرُ الظُّلْمِ:
- ٩٢ حَدُّ الظُّلْمِ:
- ٩٢ حُكْمُ الظُّلْمِ:
- ٩٤ حُكْمُ مُجَالَسَةِ الظَّالِمَةِ:
- ٩٤ مُجَالَسَةُ الظَّالِمِ مُحَرَّمَةٌ بِنَصِّ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى:
- ٩٤ مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الظُّلْمِ:
- ٩٥ مِنْ صُورِ الظُّلْمِ:

- الشِّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى: ٩٥
- ظلم العبد لغيره: ٩٥
- ظَلَمَ العبدَ لِنَفْسِهِ: ٩٦
- عَاقِبَةُ الظُّلْمِ: ٩٦
- عِقَابُ الظُّلْمِ فِي الدُّنْيَا: ٩٦
- الظالم يتقلب في سخط الله تعالى: ٩٦
- تعجيل العقاب للظالم في الدنيا مع ما ينتظره في الآخرة: ٩٧
- دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ مُسْتَجَابَةٌ: ٩٧
- من العقاب على الظلم في الدنيا تحريم الطيبات: ٩٩
- الظَّالِمُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى: ٩٩
- ومن العقاب في الدنيا الهلاك العام: ٩٩
- عقاب الظُّلْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٠٠
- القصاصُ مِنَ الظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٠٠
- الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٠١
- الظُّلْمُ مِنْ أَسْبَابِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٠٢
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ: ١٠٣
- معنى الوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ: ١٠٣
- منزلة الوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ: ١٠٤
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: ١٠٤
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ أَوْثَقُ عُرى الْإِسْلَامِ: ١٠٤

- الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ: ١٠٥
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ مِنْ عَقِيدَةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَمَرْنَا بِالنَّاسِي بِهِ: ١٠٥
- لَوَازِمُ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ: ١٠٦
- عَدَمُ اتِّخَاذِ الْكُفَّارِ بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ: ١٠٦
- عَدَمُ مَنَاصِرَةِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ: ١٠٦
- عَدَمُ التَّشْبِيهِ بِهِمْ: ١٠٧
- عَدَمُ الْإِحْتِفَالِ بِأَعْيَادِهِمْ: ١٠٨
- أَثَرُ مَوْلَاةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَمَعَادَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ: ١٠٩
- مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا كَانَ مِنْهُمْ وَحْشَرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَهُمْ: ١٠٩
- مَوْلَاةُ الْكُفَّارِ وَمَعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ سَبَبُ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى: ١١٠
- مَوْلَاةُ الْكُفَّارِ وَمَعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ سَبَبُ ضِيَاعِ الْإِيمَانِ: ١١٠
- مَوْلَاةُ الْكُفَّارِ وَمَعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْطَعُ صَلَاةَ الْعَبْدِ بِاللَّهِ تَعَالَى: ١١٠
- مَوْلَاةُ الْكُفَّارِ مِنْ أَخْصِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: ١١٠
- فَوَائِدُ: ١١١
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ لَا يَنَافِي الْعَدْلُ: ١١١
- الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ لَا يَنَافِي الْبِرُّ: ١١١
- الصَّدَقَةُ: ١١٣
- فَضْلُ الصَّدَقَةِ: ١١٣
- مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ١١٣
- مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ كَانَ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١١٤

- الْصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ: ١١٤
- الصدقة وقاية لصاحبها من صنوف البلاء: ١١٥
- صدقة السرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ١١٥
- الله تبارك وتعالى يبارك في الصدقاتِ وَيُزَيِّبُهَا لِصَاحِبِهَا: ١١٦
- ثُبُوتُ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا: ١١٦
- الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ: ١١٧
- الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ: ١١٧
- مَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْصَى أَحْصَى عَلَيْهِ: ١١٨
- الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ: ١١٨
- الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَدْوَاءِ: ١١٩
- أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا: ١٢٠
- الصدقة مما يجب: ١٢٠
- الصدقة من الحلال الطيب: ١٢٠
- الصدقة حال الصحة وطول الأمل: ١٢١
- جهد المقل: ١٢١
- قِيَامُ اللَّيْلِ: ١٢٢
- فضل قيام الليل: ١٢٢
- قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ: ١٢٢
- قِيَامُ اللَّيْلِ يَرْقَى بِصَاحِبِهِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ: ١٢٣
- قِيَامُ اللَّيْلِ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ: ١٢٣

- قيامُ اللَّيْلِ دَأْبُ الصَّالِحِينَ: ١٢٤
- قيامُ اللَّيْلِ وصيةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: ١٢٥
- قيامُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ: ١٢٦
- قيامُ اللَّيْلِ يجعلُ العبدَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنَ اللهِ تعالى: ١٢٦
- قيامُ اللَّيْلِ من أعظمِ أَبْوَابِ الْحَيِّ: ١٢٧
- وسائلُ معينةٍ على قيامِ الليل: ١٢٨
- أن يسألَ المسلمُ ربهَ سبحانه وتعالى الإعانةَ على قيامِ الليل: ١٢٨
- أن يستحضرَ فضلَ قيامِ الليل: ١٢٨
- العلمُ بأن قيامَ الليل شرفٌ للمؤمن: ١٢٩
- تركُ الذنوبِ والمعاصي: ١٢٩
- متابعةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٣١
- آثارُ تحقيقِ متابعةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: ١٣١
- متابعةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم سببٌ لمحبةِ الله تعالى: ١٣١
- متابعةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم سببٌ رحمةِ الله تعالى: ١٣١
- متابعةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم سببٌ للمغفرة: ١٣٢
- متابعةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم سببٌ هدايةِ الله للعباد: ١٣٢
- متابعةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم سببٌ الشربِ من حوضه يوم القيامة: ١٣٢
- من صورِ متابعةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: ١٣٣
- من المتابعةِ التَّاسِي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل قول وفعل: ١٣٣
- من المتابعةِ العملِ بسنته صلى الله عليه وسلم: ١٣٣

- ١٣٤..... من المتابعة تحكيمه صلى الله عليه وسلم والرضي بحكمه:
- ١٣٥..... صور من متابعة الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- ١٣٩..... التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ.....
- ١٣٩..... فضل تحقيق التوكل على الله تعالى:
- ١٣٩..... التوكل على الله من أسباب دخول الجنة:
- ١٤٠..... التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلُ الْإِيمَانِ:
- ١٤١..... مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ:
- ١٤١..... التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ لَا يَنَافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ:
- ١٤٤..... الْحَيَاءُ.....
- ١٤٤..... تعريف الحياء:
- ١٤٤..... منزلة الحياء في الإسلام:
- ١٤٤..... الحياء من الإيمان:
- ١٤٥..... الحياء من صفات الله تعالى:
- ١٤٥..... الحياء من صفات الملائكة الأبرار:
- ١٤٦..... الحياء خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:
- ١٤٦..... الحياء من شمائل المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- ١٤٧..... الْحَيَاءُ خَلْقُ الْإِسْلَامِ:
- ١٤٧..... الْحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ:
- ١٤٨..... الحياء زينة كل شيء:
- ١٤٨..... الحياء شريعة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

- الحياء رأس مكارم الأخلاق: ١٤٩
- الحياء سمة الصالحين: ١٤٩
- الحياء خير لباس: ١٥٠
- الحياء كله خير ولا يأتي إلا بخير: ١٥٠
- كيف نحقق الحياء في حياتنا؟ ١٥٢
- تكلف الحياء ومعناه أن يتصنع الإنسان الحياء ويتطبع به حتى يصير له سجية وطبعاً: ١٥٢
- حفظ الجوارح من الحرام وهو من أعظم الأسباب الجالبة للحياء: ١٥٢
- ترك الفحش من الكلام فإنه علامة قلة الحياء: ١٥٢
- تعلم هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته والتخلق بأخلاقه: ١٥٣
- مجالسة الصالحين، ومخالطة الأتقياء: ١٥٣
- اعتزال السفلة ورعاع الناس وتجنب مخالطة الفساق: ١٥٤
- استحضار نعم الله تعالى على العبد واستشعار التقصير في أداء شكرها: ١٥٤
- استشعار معية الله تعالى: ١٥٥
- ترك الذنوب والمعاصي: ١٥٥
- أثر الإعراض عن الحياء على الفرد والمجتمع: ١٥٦
- التَّقْوَى ١٥٧
- حد التَّقْوَى: ١٥٧
- فضيلة التَّقْوَى: ١٥٨
- التَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ: ١٥٨
- كَرُمُ الْعَبْدِ تَقْوَاهُ لِلَّهِ تَعَالَى: ١٥٨

- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ مَا يَتَفَاضِلُ بِهِ النَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى: ١٥٩.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: ١٦٠.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى تَجْعَلُ لِلْعَبْدِ نُورًا يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: ١٦١.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ: ١٦١.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ حِفْظِ الْعَبْدِ مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ: ١٦٢.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ النَّصْرِ: ١٦٢.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ تَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ: ١٦٢.....
- تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى تَجْعَلُ الْعَبْدَ فِي مَعِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى: ١٦٣.....
- كَيْفَ نَحْقُقُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؟ ١٦٣.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ ١٦٥.....
- حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ: ١٦٥.....
- فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ: ١٦٦.....
- حَسَنُ الْخُلُقِ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: ١٦٦.....
- الْمُؤْمِنُ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ: ١٦٧.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ الْغَايَةُ مِنْ بَعَثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٦٧.....
- صَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ أَقْرَبُ النَّاسِ لِمَجْلِسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٦٨.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: ١٦٨.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبُ سُكْنَى الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى: ١٦٩.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ: ١٦٩.....
- حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا: ١٧٠.....

- الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ: ١٧٠
- كيف نحقق حُسْنَ الْخُلُقِ: ١٧١
- الْحِلْمُ ١٧٢
- الْحِلْمُ لَغَةً: ١٧٢
- الْحِلْمُ شَرَعًا: ١٧٢
- مَنْزِلَةُ الْحِلْمِ فِي الْإِسْلَامِ: ١٧٢
- الْحِلْمُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى: ١٧٢
- الْحِلْمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ١٧٤
- الْحِلْمُ دَلِيلُ الْقُوَّةِ: ١٧٥
- الْحِلْمُ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: ١٧٦
- خطر الاتصاف بالغضب: ١٧٨
- الْعُضْبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ: ١٧٨
- من صور الْحِلْمِ: ١٧٩
- حِلْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٧٩
- حِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٧٩
- ثَمَرَةُ الْحِلْمِ: ١٨٠
- الْحِلْمُ جزاءُهُ الْجَنَّةُ: ١٨٠
- كيف نجعل الْحِلْمَ صِفَةً لَنَا وَهَيْئَةً رَاسِخَةً فِي نُفُوسِنَا؟ ١٨٠
- تَكْلُفُ الْحِلْمِ: ١٨٠
- استحضار الأجر العظيم الذي أعدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ اتَّصَفَ بِالْحِلْمِ: ١٨١

- التأسي بأهل الحلم من الأنبياء والصالحين..... ١٨١
- التعوذ بالله تعالى عند سورة الغضب: ١٨٢
- تغيير الهيئة:..... ١٨٣
- الوضوء:..... ١٨٣
- الفهرس..... ١٨٨